٧

مدينة الظلام

عملية

خادمة القصر (١)

حارس جهنم

فريق متميزون

E-BOOK

د. شريف صبري

سما للنشر والتوزيع

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لسلسلة (حارس جهنم)

كلمه مهمة:

هذا العمل (تحويل سلسلة حارس جهنم للدكتور شريف صبري الي صيغة نصية) هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق (متميزون)

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

سلسلة حارس جهنم
مدينة الظلام
العدد رقم (07)

عملية خادمة القصر ج1

تأليف: د. شريف صبري.

أمير الوكيل.. (حارس جهنم)

ضابط شُرطة ومحقق بمكتب البحث الجنائي، وهو في منتصف الثلاثينات من العمر، يميزه شعره الأحمر الناري والذي بسببه ينسبونه إلى جهنم، وله بشرة خمرية مع بعض النمش المتناثر على وجهه بينما منحه جسده الرياضي وقامته الطويلة طلة وسيمة في حين ملامحه دائمًا ما تكتسي بالجدية، ضابط شُرطة ومحقق بمكتب البحث الجنائي، وهو في منتصف الثلاثينات من العمر، يميزه شعره الأحمر الناري والذي بسببه ينسبونه إلى جهنم، وله بشرة خمرية مع بعض النمش المتناثر على وجهه بينما منحه جسده الرياضي وقامته الطويلة طلة وسيمة في حين ملامحه دائمًا ما تكتسي بالجدية، فلم يره أحد - من كل من يعيشون حوله- مبتسمًا ولو مرة واحدة فقط.

منذ أن رحلت زوجته وطفلته الوحيدة وهو لا يمتلك أي شيء في الحياة ليشغله عن عمله حتى أن زملاءه يقولون عنه؛ أنه نذر حياته لجهاز الشرطة وعند ترقيته لرتبة المقدم في العام الماضي؛ قال له رئيسه في العمل:

-أنت اليوم لست (أمير الوكيل) بل أنت (أمير جهنم).

تدور أحداث هذه السلسلة القصصية (النصف حقيقية) في إحدى البلدان التي يحدها الجنون من الشمال وتحدها من الجنوب الدهشة بينما ساحلها الشرقي يطل على بحرٍ من الدماء، وفي الغرب ستجد سلسلة من جبال الخوف.

وكل دول العالم لا تنصح رعاياها أبدًا بالسفر إلى هناك.

د. شريف صبري

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

-1-

الشتاء كائن حي شرس، لا يمكن لأحدٍ أن يتغلب عليه بسهولة، وكل من يحاول أن يتحداه صراحة، سيخرج من المعركة والخسارة بادية عليه بلا جدال، فأين سيُخفي أنفه الأحمر؟

وكيف سيتحمل رعشة جسده الشديدة؟

وبأي طريقةٍ سيتعامل مع حالة الرشح التي ستصيبه؟

ولذا فالحل الوحيد هو أن تنتظره حتى يضعف تمامًا، ويدب الوهن في أوصاله، وحينها سينتصر عليه الربيع، وأنت أيضًا ستنتصر عليه، فمن يمكن أن يصدق أن كل هذا البرد القارص، والأمطار والعواصف، والرعد والبرق، يمكن أن تهزمهم نسمة هواءٍ رقيقة يأتي بها الربيع أو زهرة غاردينيا تنبت وحيدة في إحدى الحدائق العامة!

كان الشتاء يلملم أشلاءه بسرعة، خشية أن يفقد وقاره على يد الشجيرات الصغيرة التي بدأت تظهر براعمها، فلم تعد هناك غيوم كثيفة، ولا زوابع تثير الخوف بصفيرها، ولا زمجرة رياح تهز زجاج النوافذ.

إنه الربيع ينشر إرهاصاته في شوارع المدينة الهادئة التي تقبع مستكينة في أحضان نهرها العذب الرائع الذي يشقها من الجنوب إلى الشمال، مكملًا مساره حتى يرمي كل مياهه في أحضان المحيط اللا حدود له.

ولم يكن هذا الصباح يختلف بأي صورةٍ من الصور عن الكثير من الصباحات التي سبقته، ولم يكن به ما يجعل (حارس جهنم) يظن أنه سيختلف عن صباحاتٍ أخرى آتية بعده، ولذا أخذ يقود سيارته برزانةٍ وهدوءٍ وثقة، وفكر بينه وبين نفسه - وهو يتأمل الشارع الشبه خالي من المارة والسيارات - في أمرٍ غريب، وهو أنه لم يعد يشعر بالملل من العمل والإقامة في هذه المدينة، التي أطلق عليها بنفسه ذات يوم اسم (مدينة الظلام) حين انتقل إليها للعمل كمديرٍ لمكتب التحقيقات الجنائية بها.

نعم تلك هي الحقيقة التي استغربها عندما واجه نفسه بها بمنتهى الشجاعة هذا الصباح، فبعد نوبات الملل القاتل، أمسى يعشق الوتيرة الهادئة التي تسير بها الأحداث هنا، وبعد التذمر الشديد من أوقات الفراغ الطويلة، عاد (أمير) إلى ممارسة هواية، كان قد أهملها منذ سنواتٍ طويلة وهي الرسم، وبعد أن كان يفكر جديًّا في العودة من جديد إلى العاصمة حيث بيته ومكتبه، وذكرياته، أصبح يتساءل عما سيكسبه إن هو فعل ذلك..

هل هو التأقلم؟

أم اليأس؟

أم أنه أعاد اكتشاف نفسه هنا؟

هو شخصيًّا لا يعرف الإجابة عن هذه التساؤلات، ولكن الشيء الوحيد الذي يعرفه جيدًا، أنه يكره بشدة الفترات الطويلة التي تمر عليه في هذه المدينة دون الانخراط في تحقيقٍ معقد حول جريمة غامضة بلا حل.

ولذلك تمتم بصوتٍ منخفض وهو يتوقف بسيارته أمام مطعمٍ صغير، يعد القهوة والفطائر:

- ما الذي أصابك يا (حارس جهنم)؟

لماذا أصبحت روتينيًّا كرجلٍ بدين متقاعد؟

ثم ظهر على ملامحه الجليدية، شبح ابتسامة لم يبتسمها أبدًا، وأكمل طريقه إلى داخل المطعم ليتناول فطوره مستمتعًا بالطقس الرائع، ومستغلًّا يوم العطلة الذي قرر الحصول عليه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أنهى (أمير) قهوته وفطوره الخفيف، وكانت نسمات الهواء الرقيقة تملأ المكان وهي معبأة برائحة الفل الأبيض، الذي نبت حديثًا مع قدوم الربيع.

وغادر المطعم وذهنه منشغل بالكثير من الأمور، وكان أهمها هو حالة أبيه الصحية التي تتراوح ما بين الحرجة والشبة مستقرة من فترةٍ إلى أخرى، ولذلك اتخذ قراره بأن يعود إلى عاصمة البلاد حيث مسقط رأسه ورأس والده ليقضي معه اليوم بأكمله، فهو لم يلتقِ به منذ أكثر من شهرٍ كامل.

وفي الطريق الملاصق لضفة النهر، كان كل شيءٍ يعترف صراحة بأن الربيع قد أصبح على الأبواب، وعلى خلفية الموسيقى الكلاسيكية الهادئة التي تركها (أمير) تصدح من مذياع سيارته، أخذ يفكر في تجربة انتقاله إلى (مدينة الظلام) وبدأ في تقييمها بما لها وما عليها، وظل السؤال الأهم الذي يلح عليه هو:

- إلى متى؟

إلى متى سيبقى هاربًا؟

فبعد عملية (قطيع الذئاب) كان قراره الفوري بالرحيل، والآن، هل حان الوقت ليتخذ قرار العودة؟

ربما، ولكن في حقيقة الأمر، كان هناك شيء ما بداخله يهمس في أذنه بأن الوقت لم يحن بعد، وأنه يجب أن يتريث قليلًا قبل أن يلملم حقائبه ويعود أدراجه من جديد.

وطوال الطريق الذي استغرق أكثر من الساعة والنصف بقليل، ظل (أمير) يفكر في هذا الأمر عمدًا، فهو إن ترك ذهنه خاليًا ولو لثانية واحدة فقط، فستقفز صورة ابنته على الفور داخل عقله، وربما ينتهي الأمر بدمعتين حارقتين تنتحران على حافتي حدقتيه قبل أن تخرجا إلى الدنيا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(رائحة الأماكن) هي شيء سري تحتفظ به ذاكرتنا في منطقةٍ ما محصنة بداخلنا، ولا تستدعيها إلا عندما نشعر بالحنين، فكل مكان نمتلك به ذكرى خاصة، له رائحة مميزة تظل عالقة بمشاعرنا، وممسكة بتلابيبها، فتهددنا بالاشتياق الجارف إن نحن ابتعدنا لفترةٍ ما أو عندما ندعي النسيان كاذبين.

وما أن وصل (أمير) إلى مدينته وأصبح على مشارف بيت والده حتى هاجمته بشراسة - وبلا أدنى مقدار من الشفقة - رائحة طفولته وصباه، فأغمض عينيه للحظات فور أن توقف بسيارته أمام مدخل البيت العتيق ثم تنهد بعمق، وتمتم بنبراتٍ ملؤها الحنين:

- يا إلهي، وكأن كل شيءٍ كان بالأمس.

وفي الأعلى تعانق الرجلان بحبٍّ لفترةٍ طويلة وسط صمتٍ يقول الكثير، ثم أخذ (أمير) يتأمل ملامح والده التي ظهر عليها المرض والوهن، ودون أن يسأله عما يشعر به، عرف بلا جدال أنه يعاني، وأن قدرته على التماسك تقل تدريجيًّا، فقد لمح في عيني والده - الذي حاول أن يتصنع الضحك كثيرًا - نظرة تقول بأنه على وشك أن يرفع الراية البيضاء في وجه العالم، ويفلت قبضته التي يتمسك بها بصعوبةٍ في العربة الأخيرة من قطار الحياة.

وتحدثا كثيرًا.

وضحكا كثيرًا.

وتبادلا النظرات كثيرًا.. كثيرًا.

ثم جاء اقتراح (أمير) بأن يذهبا لتناول الطعام في أحد المطاعم التي كانت تفضله أمه في حياتها، ووافق الرجل العجوز دون أن يبدي أي اعتراض كما ظن (أمير) بل على العكس رحب والده بالفكرة، وتحمس لها وهو يقول:

- يبدو أن غداءنا اليوم سيكون وجبة دسمة من الذكريات.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

استيقظت (نورا) من نومها متأخرة، وظلت في فراشها بعد ذلك لأكثر من ساعة بالرغم من محاولات أمها المتكررة لجعلها تتشارك معها طعام الإفطار، وقد انتهت كل تلك المحاولات بأن حملت الأم كوبين من القهوة لها ولابنتها إلى غرفة الأخيرة ثم جلست على الكرسي المجاور للسرير الذي تتمدد عليه (نورا) بكسلٍ بدا جليًّا في نبراتها، وهي تقول بعد الرشفة الأولى من القهوة الساخنة:

- أنا أرغب بالنوم لثلاثة أيام متواصلة.

فقالت أمها:

- لقد أخبرتك ألف مرة أن تتركي كل هذا العناء، فامرأة مثلك يجب أن تحيا حياة مختلفة عن تلك التي تعيشينها الآن، ويجب أن يكون لها زوج وسيم، وثلاثة أطفال على الأقل.

فضحكت (نورا) وعلقت باستنكارٍ قائلة:

- على الأقل!

ثم رشفت الرشفة الثانية، وأكملت:

- القصة لا تتعلق بطبيعة عملي بقدر ما هي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بوصول المقدم (أمير الوكيل) إلى مدينتنا، وتوليه مقاليد الأمور في مكتب البحث الجنائي، فهو رجل يختلف كثيرًا عمن حوله.

وبالطبع الأم هي أدرى الناس بابنتها، وبداخلها كانت على يقين من أن (نورا) مأخوذة بشخصية (حارس جهنم) ذلك الوافد الجديد على المدينة، ولذلك قالت لها مستفسرة:

- يختلف كثيرًا من أي ناحية؟

ثم وضعت ساقًا على ساق وهي تمسك كوب القهوة بكلتا يديها، وتتصنع اللا مبالاة بينما وضعت (نورا) كوبها على الطاولة الصغيرة المجاورة لها ثم قفزت فجأة من على السرير لتقف أمام أمها وهي ترتدي منامتها الوردية اللون، وتقطب جبينها بتجهمٍ كما يفعل (أمير) ثم أشارت بسبابتها، وتحدثت بنبراتٍ كلها ثقة قد تصل إلى مرحلة الغرور:

- خذي هذه القائمة أيتها النقيب، وقومي بالتحري عن جميع الأسماء التي تحويها، وسأنتظر منكِ تقريرًا مفصلًا في أسرع وقتٍ ممكن.

وبعد أن انتهت من تقليد الطريقة التي يتحدث بها (أمير) جلست على حافة السرير، وقالت:

- إنه يختلف حقًّا، فالجميع يحاولون إظهار أروع ما بهم إلا هو، فيتعمد أن يُخفي كل صفاته الرائعة خلف قناعٍ من الجليد البارد الذي لا يذوب.

ثم قامت لتقف مرة أخرى، وهي تقول:

- سأذهب لألقي بنفسي تحت الماء البارد المنعش كي أتمكن من الاستيقاظ.

وأسرعت إلى حمامها الخاص بينما نظرت إليها أمها بتعجبٍ ثم قالت:

- وقهوتك، ألن تشربيها؟

ولم يأتها الرد أبدًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- يا إلهي، ما هذا الجنون؟

هكذا صرخت (سعاد) بفزعٍ وذعرٍ وجنون، وهي تقف أمام الجثة الهامدة قبل أن تتراجع إلى الخلف خارج الغرفة الصغيرة بخطواتٍ مرتجفة وهي تغطي وجهها بكفيها، وأخذت في الصراخ بهيستريا وجنون بنبرات صوتٍ مبحوحة، وعلى ملامح وجهها ظهر الإعياء الشديد.

وعلى إثر صرخاتها المروعة، تجمع أهل الفيلا الأنيقة، كلٌّ من حجرته مسرعًا، وهم على يقين من أن كارثة رهيبة قد حدثت في بيتهم.

وكانت (حنان) بشعرها الكستنائي الطويل المموج هي أول من وصلت إلى المكان الذي صدرت منه صرخات (سعاد) فوجدتها قد انهارت، وسقطت أرضًا مستندة بظهرها على الحائط الملاصق تمامًا لباب الغرفة التي ترقد بداخلها الخادمة (منال) وقد فارقت الحياة.

فدخلت (حنان) إلى الغرفة المعتمة، وفتحت الشرفة بسرعة ليصدمها شكل (منال) وهي مطعونة في عنقها، فأسرعت لتغادر وعلى وجهها ملامح الخوف والذعر وبعد ذلك بلحظات، وصل زوجها (مالك) وبدت عليه علامات التوتر والارتباك، وعدم القدرة على تفهم ما يجري في المكان، كما حدث لزوجته تمامًا، فالوقت لا يزال مبكرًا ولا يوجد بالنسبة له ما يفسر صراخ (سعاد) الهستيري، وهي التي تتميز بهدوئها الشديد ورزانتها منذ أن تقدمت للعمل بالفيلا كـطاهية منذ أكثر من ثلاثة أعوام، ويبدو أنه لم ينم جيدًا فعيناه كانتا ذات لونٍ أحمرٍ قانٍ:

- ما الذي يحدث يا (سعاد)؟

هل أنتِ بخير؟

هكذا سألها (مالك) فلم تُجب بحرف بل هزت رأسها باستنكارٍ وفي عينيها نظرات عدم التصديق بينما أشارت بيدها ناحية مدخل غرفة (منال) الخادمة الشابة، فتقدم (مالك) بحذرٍ جهة باب الغرفة المفتوح، وقال لزوجته وقد ظن أنها ستتبعه إلى الداخل:

- انتظري هنا.

ولم يمر أكثر من خمس ثوانٍ حتى خرج وهو يردد نفس الجملة التي كانت تصرخ بها (سعاد):

- يا إلهي، ما هذا الجنون؟!

وفي نفس اللحظة وصل إلى مكان الكارثة السيد (أمين) رب البيت وصاحبه، وكان يحاول تعديل وضع شعره الرمادي الغير مصفف، ثم تساءل وهو يتثاءب ويتنقل ببصره بين الوجوه المذهولة:

- ما الذي يحدث هنا؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في تمام السادسة والنصف صباحًا، وصل أول شرطي إلى فيلا السيد الأنيقة جدًّا، والواقعة في حي (البستان) على أطراف المدينة الهادئة، وفتح له السيد (أمين) الباب بنفسه، واستقبله بصمتٍ بعد أن صفف شعره، واستبدل المنامة التي كان يرتديها من قبل ببذلةٍ سوداء اللون.

وقال محدثًا الشرطي بعد عبارات الترحيب المقتضبة، والتي كشفت أن صاحبها مرهق وخائف:

- الجثة في مكانها، ولم يمسها أحد منذ أن اكتشفنا وجودها.

فتمتم الشرطي الصارم الملامح وهو يتقدم في بهو الفيلا:

- سألقي نظرة على مسرح الجريمة حتى يصل أفراد مكتب البحث الجنائي، وبعد ذلك أريد أن أتحدث للحظات مع الشخص الذي شاهد الجثة للمرة الأولى.

فقال (أمين) وهو يسبق الشرطي ناحية غرفة (منال):

- (سعاد) هي من اكتشفت الجثة في الصباح الباكر، وقد استيقظنا جميعًا على صوت صراخها الهستيري، و(سعاد) تعمل معنا في الفيلا منذ ثلاث سنوات تقريبًا.

فنظر إليه الشرطي متسائلًا، فأجاب (أمين) على التساؤل الصامت:

- هي تتولى أمر المطبخ، و(منال) الضحية فقد كانت تهتم بشؤون المنزل ونظافته.

لاحظ الشرطي طريقة (أمين) المهذبة التي أراد أن يخبره بها، أن (سعاد) تعمل في بيته كطاهية في حين كانت (منال) هي الخادمة.

وبالفعل ألقى الشرطي نظرة سريعة على الغرفة التي أصبحت مسرحًا للجريمة، ثم توجه برفقة (أمين) إلى إحدى الأرائك الوثيرة حيث كانت تجلس (سعاد) وقد دفنت وجهها بين كفيها وصوت بكائها المكتوم يوحي بما تعانيه من صدمةٍ شديدة بينما جسدها الممتلئ يهتز مع وتيرة البكاء الحارق، وظهر عليها أنها تعاني من وعكةٍ ما، فقد كان جبينها متعرقًا، وأنفاسها سريعة ومتقطعة، وبشرتها تميل إلى اللون الأحمر وكأنها محمومة، وربما كانت تلك الأعراض بسبب الصدمة الشديدة التي تعرضت لها، والحالة النفسية التي تعاني منها بعد أن وجدت نفسها وجهًا

لوجه مع جثةٍ هامدة.

جلس الشرطي بجوارها، وقال:

- سيدة (سعاد) أنا أقدر جيدًا صعوبة الموقف، ولكن يجب أن تتحكمي في أعصابك قليلًا حتى ينتهي الأمر سريعًا، فرجال التحقيقات الجنائية سيتواجدون هنا بعد قليل، وسيتعين عليهم الحصول على إجاباتٍ شافية للكثير من الأسئلة.

ولم تغير (سعاد) من الوضع الذي هي عليه بل على العكس ارتفع صوت نحيبها أكثر، وتمتمت بكلماتٍ مبللة بالدموع، خرجت غير مفهومة مما جعل (أمين) يتحدث إلى الشرطي قائلًا:

- سيدي، كيف تفضل قهوتك؟

فشكره الشرطي ثم سأله:

- سيد (أمين) متى كانت آخر مرة رأيت فيها المجني عليها؟

فأجابه (أمين) وهو يعدل من وضع جلوسه ببطءٍ متخذًا ذلك ذريعة كي يمنح نفسه فترة للتذكر، وسعل مرتين بقوة قبل أن يقول:

- بالأمس، ففي المساء عندما عدت من العمل، هي من فتحت لي الباب، وكانت كعادتها مبتسمة، ثم بعد أن توجهت إلى مكتبي الملحق بغرفة نومي لأنجز بعض الأمور العالقة التي تخص العمل، أحضرت لي (منال) القهوة مرتين.

ثم صمت (أمين) للحظات، وظهر عليه التردد بين أن يقول شيئًا ما أو أن يصمت، ويبدو أنه مال أخيرًا إلى الخيار الثاني، فسأله الشرطي:

- ومن غيرك يسكن هنا في هذه الفيلا يا سيدي؟

فأجابه (أمين):

- أنا أسكن هنا بالطبع، ويسكن معي ابني الكبير (مالك) وزوجته (حنان) وكما أخبرتك فإن (سعاد) هي المسؤولة عن الطعام الذي نتناوله وعن المطبخ ولها غرفة ملحقة به، وكذلك كانت (منال) تقيم في غرفتها مع زوجها (مرزوق) الذي يعمل معي كسائق.

فسأله الشرطي على الفور:

- وأين (مرزوق) الآن؟

فأجاب (أمين) وقد ظهرت على ملامحه علامات التأثر:

- لقد أرسلته بالأمس في مهمة عملٍ خارج المدينة، ومن المتوقع أن يعود في وقتٍ لاحق من صباح اليوم.

وقبل أن يسأل الشرطي سؤاله التالي، وصل إلى الجميع بوضوح صوت عدد من سيارات الشرطة يصدح من خارج الفيلا، فعرف (أمين) على الفور أن المرحلة الأصعب في التحقيقات على وشك أن تبدأ بعد قليل، فأغمض عينيه بقوة وهز رأسه، وهو يتمتم:

- من أين لنا بكل هذا الجحيم؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(نورا) هي أول من عبرت من باب الفيلا، وقبل أن تتقدم خطوة إلى الداخل، أخذت تتأمل البهو الفخم بنظراتٍ متفحصة وسريعة، ومن خلفها دخل عدد كبير من رجال الشرطة، بعضهم في الزي المدني، والبعض الآخر في الزي الموحد المميز والخاص بهم.

وأول ما قالته كان موجهًا إلى الشرطي الذي سبقها إلى مكان:

- صباح الخير، ماذا لدينا هنا؟

فأجابها الرجل على الفور بكلماتٍ واضحة ومحددة:

- توجد جثة لامرأة في أواخر العشرينات من العمر، مطعونة في الرقبة بينما هي على سريرها في غرفة نومها، ولا توجد آثار للمقاومة في المكان، ولا يوجد ما يدل على الاقتحام عنوة، فيبدو أن الجاني قد تسلل إلى الداخل بطريقةٍ ما، وباغتها بينما هي نائمة.

فلم تقل (نورا) شيئًا، وظلت في مكانها تتجول بعينيها في بهو الفيلا من حولها وهي تتعمد أن ترسم ملامح الجدية الشديدة على وجهها، ومن داخلها كانت على يقين بأنها تتقمص شخصية (أمير الوكيل) لا إراديًّا، حتى أنها تساءلت بينها وبين نفسها بصمتٍ عن أول شيءٍ كان سيفكر به ويفعله (حارس جهنم) لو أنه كان هنا.

وبعد دقيقة من الصمت، وجدت (نورا) نفسها محط أنظار كل من حولها، فقالت بصوتٍ مرتفع:

- هيا إلى مسرح الجريمة.

ثم لَحِقت بالشرطي الذي تقدم إلى حيث غرفة (منال).

وبدأت على الفور بتقييم الموقف بتريث ودقة، وأخذت تحفظ عن ظهر قلب في ذاكرتها كل ما تراه من حولها، وهي في تحدٍّ ضخم مع نفسها، ورغبة عارمة في إماطة اللثام عن تفاصيل هذه الجريمة التي قيمتها على أنها ستكون سهلة ولن تبذل بها جهدًا كبيرًا.

ووجدت أن مدخل الفيلا في غاية الأناقة، ويحتوي على أثاثٍ ينم عن ذوقٍ رفيع، وفي نهاية البهو الواسع يوجد سلم معدني مطلي بلون الذهب ويصل إلى الطابق العلوي بينما على اليمين يوجد مدخل المطبخ الواسع، وبجواره حمام متوسط الحجم، وبجوار الحمام كان مدخل غرفة (منال).

وأول ما ركزت (نورا) بصرها عليه في الغرفة التي كانت واسعة الحجم نوعًا ما، هو الأبواب الثلاثة وكان اثنان منهم مغلقين بينما باب الشرفة كان مفتوحًا، ذلك غير الباب الذي عبرت منه هي، وقبل أن تدخل، أشارت إلى الجميع من خلفها أن ينتظروا للحظات، وأخذت هي تتأمل المكان الذي كان مرتبًا ونظيفًا.

السرير - حيث ترقد جثة (منال) هامدة - يقع ملاصقًا للجدار المقابل للباب الذي دخلت منه للتو، وفي آخر نفس الجدار يوجد باب آخر خشبي يفضي إلى حمامٍ صغير ملحق بالغرفة بينما الجدار الثالث توجد به خزانة كبيرة بنفس لون السرير، وبجوار تلك الخزانة باب معدني مغلق

من الداخل، فتحته (نورا) فوجدت أنه يؤدي إلى الحديقة الخارجية للفيلا، وأما الجدار الأخير فقد كان به باب شرفة زجاجية مفتوحًا ومغطى بستارة سميكة، وبجانبه توجد مرآة دائرية، ورف عريض عليه عدد من الأحذية، ووعاء من الفخار به بعض أعواد الريحان، وزهرة غارديني وكلهم قد أصابهم الذبول.

حتى أن (نورا) قبل أن تقترب من الجثة لتعاينها، حدثت نفسها قائلة:

- يبدو أن هذه النباتات في حالة حدادٍ على صاحبة الغرفة.

وعندما اقتربت من الجثة، وجدت أن (منال) ممددة على سريرها، ونصف جسدها السفلي مغطى بملاءة زرقاء اللون في حين رأسها مائل إلى جهة اليمين قليلًا، وفي عنقها من الجهة الأخرى يوجد سكين ذو مقبض غريب مغروس حتى منتصف نصله، وباستثناء ذلك السكين، بدت (منال) وكأنها نائمة بهدوءٍ وليست ميتة.

ظلت (نورا) تنظر بتفحص إلى ملامح (منال) فوجدتها في غاية الجمال والنعومة، وتليق بلا جدال لأن تكون سيدة القصر، وليست مجرد خادمة، وشعرت من داخلها بغصة، فتنهدت وأدارت وجهها إلى الناحية الأخرى، ثم طلبت من رجال الأدلة الجنائية الدخول فورًا لمباشرة عملهم بينما تراجعت هي إلى إحدى زوايا الغرفة بجوار باب الشرفة، وشردت بذهنها وهي تتخيل كيف يمكن أن تكون (منال) قبل أن يُغدر بها!

وظلت لأكثر من دقيقة وسط ذلك الشرود، فبدت كأنها في مكانٍ آخر من العالم غير تلك الغرفة، ولم تعد إلى أرض الواقع إلا بعد أن أخذت تتعالى أصوات الكاميرات التي يستخدمها رجال الشرطة في تصوير كل زوايا مسرح الجريمة قبل أن ينتقلوا لتصوير الجثة.

وبعد أكثر من ساعة، خرجت (نورا) إلى البهو الواسع حيث وجدت في الخارج السيد (أمين) صاحب الفيلا، وابنه (مالك) ذا الشعر الأسود المجعد، والعينين الضيقتين الحمراوين الغير مريحتين، وبجواره جلست زوجته (حنان) زائغة البصر غير مصدقة لكل ما يدور حولها من أحداثٍ صادمة، وغير بعيد عن ثلاثتهم، كانت (سعاد) في حالة صمتٍ تام وقد رفعت رأسها إلى الأعلى محدقة في السقف بينما أخذت تهز قدمها اليسرى بسرعة، وبوتيرةٍ واحدة مما يدل على كم القلق والتوتر اللذين تشعر بهما في أعماقها ومدى الإعياء الذي تعاني منه وهي تسعل كل دقيقة وأخرى.

ووسط المكان وقفت (نورا) تتأمل الوجوه كصقرٍ يتخير فريسته، وتمتمت بصمت:

- من منكم فعلها يا تُرى؟

وأخيرًا حسمت أمرها وقررت أن تبدأ برب البيت، وبالرغم من أن قرارها بدا تقليديًّا ومتوقعًا، وسيقوم به أي شرطي مبتدئ إلا أنها أقدمت عليه بثقةٍ اكتسبتها من الأشهر التي اقتربت فيها من (أمير) خلال العمل معه.

وتقدمت إلى حيث يجلس (أمين) وقالت له:

- تقبل تعازيّ يا سيدي، وأرجو أن تكون بخير حتى نتمكن من الحديث سويًّا لبعض الوقت.

فقال (أمين):

- أشكركِ يا سيادة المحققة، فبالفعل الموقف في غاية الصعوبة، ولا يمكن تصوره أبدًا ولو في الخيال.

ثم أشار إلى الكرسي المجاور له، ودعاها إلى الجلوس، ولكنها قالت وهي تنظر حولها في المكان الذي أصبح يعج برجال الشرطة بالإضافة إلى أهل بيته:

- هل من الممكن أن نحصل على بعض الخصوصية؟ فأنت تعرف أن الموضوع جد خطير.

فقام (أمين) من حيث يجلس، وقال:

- بالطبع يا سيدتي، فهيا إلى غرفة مكتبي.

وتقدم عبر البهو الفخم تجاه السلم الصاعد إلى الطابق العلوي بينما كانت عينا (مالك) تتابعان والده ومن خلفه المحققة التي رسمت على ملامح وجهها الصرامة والجدية، ثم تمتم قائلًا بنبراتٍ خافتة:

- يبدو أن الأيام القادمة ستكون شائكة جدًّا.

وبالرغم من أنه كان يُحدث نفسه إلا أن زوجته التي تجلس غير بعيد عنه قد سمعت تلك الجملة جيدًا، ونظرت إليه بنظراتٍ لا يمكن أبدًا أن نصفها بأنها عادية، ولم تنبس ببنت شفة.

وأكمل (أمين) طريقه حتى وصل إلى حجرة المكتب، فدخلها ومن خلفه (نورا) التي تأملت الغرفة الواسعة المساحة ذات النوافذ الخشبية الكبيرة المزينة بنقوشٍ رائعة، وأبهرتها المكتبة الضخمة التي تعج بمئات الكتب والمجلدات الموجودة في أحد أركان الغرفة، وتمنت لو أنها تتفرغ لمدة عامٍ كامل لتلك المكتبة، فقط كي تقرأها عن بكرة أبيها، وفي الركن الآخر من الغرفة، جلس (أمين) وهو يقول:

- ها نحن يا سيادة المحققة بمفردنا، ولكن أخبريني أولًا، ما هي رتبتك العسكرية؟

كان (أمين) في الخامسة والستين من عمره تقريبًا؛ متوسط الطول؛ ذو شعرٍ رمادي غلبه الشيب ولكنه مصفف بعنايةٍ إلى الخلف، وأما ملابسه فكانت في غاية الأناقة وتبدو باهظة الثمن، وتأملت (نورا) ملامح وجهه بتجاعيدها المحفورة بدقة، فشعرت أنها تشي بكل ما خاضه هذا الرجل من معارك عديدة مع الحياة؛ انتصر في بعضها وخسر البعض الآخر، وأيقنت (نورا) وهي تجيب على سؤاله، أن الحديث معه لن يكون أبدًا بالأمر السهل، ولذا قررت ألا تمنحه الفرصة كي يتلاعب بها:

- أنا أحمل رتبة النقيب يا سيد (أمين) وبهذا يبدأ دوري في طرح الأسئلة، وستبدأ أنت في الإجابة.

وجلست (نورا) في الكرسي المواجه للرجل الذي وضع ساقًا على ساق مدعيًا التماسك بينما في عينيه نظرة تتمنى لو أن هذا النهار لم يبدأ أبدًا بهذا الشكل، وأخذت في استجوابه:

- منذ متى تعمل (منال) في هذا المنزل؟

فأجاب (أمين):

- لم تتجاوز العام، فأظن أنها هنا منذ بداية الصيف الماضي، لأن السيدة التي كانت تعمل لدينا قبلها قد أصبحت مسنة ومريضة، ولم يعد بمقدورها القيام بأعباء المنزل، ولذلك استبدلتها ب.

(منال).

فسألته (نورا) على الفور:

- وهل جاءت عن طريق إعلان أم مكتب توفير العمالة المنزلية؟

فأجابها:

- لا هذا ولا ذاك، ولكن زوجها (مرزوق) يعمل عندي في الشركة كسائق منذ عدة سنوات، وقد عرض هو عليَّ، أن تقوم زوجته بالعمل في الفيلا عندما عرف باحتياجنا إلى سيدة شابة، وبالفعل منحتهما قسمًا صغيرًا بالقرب من المطبخ ليقيما فيه، فأصبحت الأمور أفضل للطرفين، فطبيعة عملي تتطلب الكثير من التحركات المفاجئة ووجود (مرزوق) بالقرب مني يوفر الوقت والمجهود، وكذلك كانت إقامتهما هنا توفر عليهما المال الذي سيدفعانه لإيجار أي شقة ولو كانت صغيرة المساحة.

فسألته (نورا):

- وطوال هذا العام، ماذا كان انطباعك عنها؟

فتريث (أمين) للحظات قبل أن يجيب، وأخيرًا حسم أمره وقال:

- لا أدري بالتحديد، ولكن برأيي فإن زوجها بدا لي أفضل منها، وأكثر طيبة.

ثم أخرج سيجارًا ضخمًا من علبةٍ خشبية على مكتبه، وبعد أن أشعله ونفث منه الدخان الكثيف، وجه حديثه إلى (نورا) قائلًا:

- أرجو ألا يزعجكِ تدخيني.

فسألته هي متجاهلة تلك الجملة:

- ماذا تقصد بأن زوجها أفضل منها؟

فأجاب:

- لم تكن مريحة في تعاملها، ولكنني عزيت ذلك إلى صغر سنها أولًا، ولكوني تعودت لأكثر من خمسة عشر عامًا على السيدة التي كانت تعمل هنا قبلها، فقد كانت تحفظ كل ما أحتاج إليه عن ظهر قلب، ولكن بالمجمل فإن (منال) فتاة مخلصة ومجتهدة، وكذلك زوجها.

فقالت (نورا) وهي تبعد بيدها الدخان الذي بدأ يؤذيها:

- ومن برأيك قد يقدم على مثل هذه الجريمة البشعة؟

فعاد الرجل بكرسيه إلى الخلف ونظر إلى السقف، وارتدى ثوب الفلاسفة وهو يجيب على السؤال:

- سيادة النقيب، أنا أعمل في مجال تداول الأوراق المالية والمضاربة في البورصات العالمية منذ عشرات السنين، وفي مجال عملي تعلمت أن البشر غالبًا ما يمتلك كل واحد منهم في أعماقه وحشًا كاسرًا، يظل حبيسًا أغلب الوقت ولا يظهر إلا نادرًا، ولكنه إن ظهر فستحدث كارثة لا

يمكن توقعها، ويمكنها أن تكون مدمرة بكل المقاييس.

ثم صمت للحظات قبل أن يكمل:

- ويبدو أن بالأمس كان هناك وحش ما طليقًا في منزلي.

وهمت (نورا) أن تسأل الرجل عن شيءٍ ما، لكن ضجة شديدة وصراخًا عاليًا قد وصلا إلى أذنيها، وكان مصدر كل ذلك الطابق الأرضي، فتركت مكانها بسرعة بينما تمتم (أمين) قائلًا:

- لا بد أن (مرزوق) قد وصل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نزلت (نورا) مسرعة على السلم الذهبي ذي النقوش الأنيقة، وهي تبحث عن مصدر الجلبة التي هدأت إلى حدٍّ ما، وبدأت تتحول إلى بكاءٍ متقطع، ورأت رجلًا يجلس على كرسي وهو يضع رأسه بين كفيه بينما وقف حوله ثلاثة من رجال الشرطة، وما أن وصلت إلى منتصف البهو وفي عينيها نظرات الاستفهام حتى اقترب منها أحد رجال مكتب التحقيقات الجنائية الذين يعملون معها، وقال لها بصوتٍ هامس:

- إنه زوج الضحية، وقد دخل في نوبة هياج ما أن وصل وعلم بالحادث، وأخذ يصيح بجنون قائلًا: «فلتذهب إلى الجحيم أنت وأموالك أيها الشيطان.»

فنظرت إليه (نورا) بتعجب، ولكن الرجل أكمل قائلًا:

- لم يوجه كلماته لأحدٍ بعينه، ولم يذكر أسماءً محددة، ولكنه كان في قمة الغضب، وقد سيطرنا عليه بصعوبة.

فقررت (نورا) أن تتوخى الحذر الشديد وهي تتعامل مع (مرزوق) الذي كان طويل القامة، ضخم الجسد، ذو بشرة حنطية داكنة وشعر أسود كثيف، ويبدو عليه التعب الشديد والإرهاق، فتقدمت إلى حيث يجلس ومن داخلها تتمنى لو أن (أمير الوكيل) بجوارها في هذه اللحظة، ثم جلست بالقرب من الرجل، وقالت بنبراتٍ هادئة:

- أقدم لك أحر التعازي يا سيد (مرزوق) وأرجو أن تتمالك أعصابك قليلًا، فأنت بهذه الطريقة ستضر نفسك.

فصمت الرجل مع آخر حرف من كلمات (نورا) وحتى أنفاسه التي كانت متلاحقة وعالية، أصبحت بلا صوت، ثم رفع رأسه إلى الأعلى، فلمحت في عينيه نظرة بها الكثير والكثير من مشاعر الغضب والثورة، والحقد والمرارة، وتوقعت أن ينفعل الرجل وينفجر بها وهو يتحدث، وأعدت نفسها لتقبل كل ما سيقوله، ولكنه خلف ظنها وخرجت نبرات صوته المجهدة مغلفة بالهدوء الذي يخفي فوران البركان:

- أنا أعتذر عما فعلته وقلته، فالصدمة أكبر من أن يصدقها عقلي، ف. (منال) ليست مجرد زوجة بل هي رفيقة رحلتي في الحياة التي تمنيت أن تكون أطول من ذلك بكثير.

ثم عاد للنظر إلى الأسفل، والتزم الصمت حتى أن (نورا) عندما سألته:

- منذ متى وأنتما متزوجان؟

لم يُجبها بحرفٍ واحد، فلم تكرر سؤالها واحترمت رغبته الحالية بالتقوقع داخل نفسه، وقالت وهي تدير له ظهرها كي تعود إلى الأعلى حيث بقي (أمين) لتكمل حديثها معه:

- حسنًا يا سيد (مرزوق) سوف أتركك قليلًا حتى تتمالك نفسك، ومتى شعرت برغبتك في الحديث فستجدني بالقرب منك.

وقبل أن تبتعد خطوة، سمعته يقول:

- منذ أكثر من عشرين سنة.

فتوقفت في مكانها، ونظرت إليه بتعجب، فأكمل قائلًا:

- (منال) ابنة خالتي، ومنذ صغرنا والجميع يتوقع أننا سوف نتزوج، وكنا نتعامل لسنواتٍ طويلة بهذه القناعة، لكن فعليًّا قد تزوجنا منذ عامين تقريبًا.

وبالرغم من أن (مرزوق) قد أجاب على سؤالها إلا أن (نورا) فضلت أن تمنحه الوقت الكافي ليتجاوز صدمته، فغادرت البهو، وفي طريقها إلى الأعلى مرة أخرى، قالت لأحد رجال الشرطة:

- لا تدعوه يقترب من مسرح الجريمة بأي حالٍ من الأحوال.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عادت (نورا) إلى حيث تركت (أمين) يجلس وحيدًا في غرفة مكتبه بالطابق الأول، ولم يكن الرجل قد أنهى بعد تدخين سيجاره الكوبي الضخم الذي عبأ الغرفة بدخانٍ كثيف له رائحة قوية نفاذة، وجلست على نفس الكرسي في مواجهته، وأعادت على أذنيه السؤال الأخير مرة أخرى، ولكن بطريقةٍ مباشرة:

- من برأيك الذي قتل (منال) يا سيدي؟

فأجابها (أمين) على الفور، وكأنه قد جهز ما سيقوله خلال فترة غيابها:

- جرائم القتل لا تخضع للآراء الشخصية، ولذا فأنتم في مكتب التحقيقات الجنائية من يتعين عليه الإجابة عن هذا السؤال.

فقالت (نورا) وهي تنظر إليه بتحدٍّ:

- بالطبع سنفعل، وأسرع مما تتخيل، وأما الآن فسأكتفي بهذا القدر من الحديث الشائق معك، وبالطبع سيكون لنا العديد من اللقاءات ولكن بعد أن تتضح أمامي بعض الأمور، وأشكرك بامتنان يا سيدي على سعة صدرك.

وغادرت (نورا) الغرفة بعد أن فضلت أن تكمل استجوابها للرجل عندما تحصل على معلومات أكثر تضعها في موقف الطرف القوي كي لا تترك له المجال ليتلاعب بها، فهو ليس من النوع السهل أبدًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وفي طريقها إلى الأسفل، فكرت فيمن يجب أن يكون هدفها التالي في التحقيق الأولي!

فهل تتحدث مع (سعاد) التي تعمل كطاهية في الفيلا، فهي أول من اكتشف وجود الجثة؟

أم تتحدث مع الشاب (مالك) ابن السيد (أمين)؟

أو مع زوجته الرقيقة (حنان)؟

- الولد سر أبيه.

هكذا تمتمت (نورا) سرًّا بعد أن حسمت ترددها وتوجهت إلى حيث يجلس (مالك) بجسده النحيل، وشعره الأسود المجعد، ونظراته الحائرة التي تُخبئ خلفها بئرًا من الأسرار، فربما قررت أن تمنح (سعاد) بعض الوقت حتى تتعافى مما تشعر به من صدمةٍ نفسية، وتوعك جسدي.

وقالت له:

- سيد (مالك) هل تسمح لي بأن نتحدث قليلًا؟

وجاءها الرد، ولكن ليس من (مالك) بل من زوجته (حنان):

- أليس من الأفضل أن تمنحينا فرصة يا سيدتي، كي نلتقط أنفاسنا، فما حدث هنا في هذا المكان، أمر رهيب تقشعر له الأبدان.

كانت نبراتها معبأة بالخوف والقلق والتوتر والحزن، فقد بدا عليها أنها في حالةٍ من الصدمة الشديدة التي لن تتجاوزها بسهولةٍ ويُسر، فترددت (نورا) للحظات، ولكنها بالطبع لم تكن تنوي أبدًا أن تفلت من يدها الساعات الأولى من جريمة القتل الغامضة، تلك التي كان (أمير) يُطلق عليها اسم:

- ساعات الحسم.

وأنقذ (مالك) الموقف بأن قال:

- لا بأس يا حبيبتي، فما تفعله المحققة لصالحنا جميعًا.

ولكن (حنان) التي كانت تدعي التماسك، بدأت في البكاء بصوتٍ خافت، وهي تقول:

- يا إلهي، كيف يمكن أن يسلب شخص حياة شخصٍ آخر بمثل هذه الطريقة البشعة مهما كان السبب؟

وكيف سنأمن على أنفسنا هنا في هذا البيت، ومن الممكن أن يتسلل إلينا القاتل في أية لحظة؟

فقالت (نورا) على الفور:

- ولهذا السبب بالذات، لا نرغب كرجال شرطة في أن تضيع منا ولو دقيقة واحدة حتى نصل إلى المجرم، ونقدمه فورًا إلى العدالة كي يحصل على جزائه الذي يستحقه.

ثم جلست بجوارهما، ووجهت سؤالها إلى (مالك) الذي كان أقرب إليها في جلسته من زوجته:

- متى آخر مرة رأيت فيها المجني عليها يا سيد (مالك)؟

وفي تلك اللحظة بالتحديد لم يكن عند (نورا) أي شك في أن الرجل سيكذب، فلغة الجسد التي درستها جيدًا أخبرتها بذلك، ولذا تشوقت لأن تستمع إلى ما سيقوله:

- أظن أنني قابلتها هنا.

ثم أشار إلى منطقة في بهو الفيلا بين باب المطبخ وبين السلم ذهبي الأطراف، وأكمل وهو يسعل ويحك بكفيه عينيه الحمراوين:

- لقد كنت عائدًا في وقت الظهيرة من جلسة عمل، وصادفتها بينما هي تخرج من المطبخ، فبادلتها التحية، وسألتني ما إن كنت أرغب في تناول شيءٍ معين على الغداء، فأجبتها بأنني لن أتمكن من تناول أي شيءٍ لأنني أشعر بتوعكٍ في معدتي، وأما في المساء فقد عدت متأخرًا بعض الشيء من سهرة مع بعض الأصدقاء.

ثم صمت (مالك) وأخذ يركز انتباهه على زوجته إذ سألها:

- هل أنتِ بخير يا حبيبتي؟

ولكن (حنان) رفعت رأسها، ونظرت إليه نظرة غريبة وكأنها نظرة اشمئزاز، ولم تُجبه بحرفٍ واحد، وقبل أن تنتقل (نورا) إلى السؤال التالي، لاحظت تلك الرائحة القوية التي تفوح من فم (مالك).

رائحة الخمر.

وأصبح لديها في هذه اللحظة الكثير من علامات الاستفهام حول هذا الرجل وسلوكه وطبيعة علاقته بزوجته، ولكن كما تعلمت من سنوات عملها في مكتب التحقيقات، فهي لن تُصدر أبدًا أية أحكام مسبقة، ولن تبني أية تصورات للجريمة قبل أن تستكمل جميع خطوات البحث والتحري والتحقيق، ولذا سألت (مالك):

- وكيف كان سلوك الضحية أثناء إقامتها معكم في المنزل؟

فأجابها بعصبيةٍ غير مبررة:

- لا أعرف بالتحديد، فهي مجرد خادمة، وبالتأكيد سيكون سلوكها كسلوك أي خادمة، فأنا لم أفهم ما الذي تعنيه بهذا السؤال.

اندهشت (نورا) من طريقته الحادة في الإجابة وتغير الأسلوب الذي كان يتحدث به معها، وقبل أن تسأله مجددًا، أردف قائلًا:

- أرجو المعذرة يا سيدتي، فكلنا في حالةٍ نفسية سيئة، ولا نستطيع التحكم في انفعالاتنا.

وتوقف الكلام في المحيط الذي يجلس به ثلاثتهم (مالك، ونورا، وحنان) إلا من همسات رجال الشرطة المنتشرين في المكان، حتى بدأت الأخيرة في الكلام مدافعة عن زوجها:

- (مالك) لا يتواجد في البيت كثيرًا، فعمله يستهلك أغلب وقته، فهو المدير العام لشركة المضاربات المالية التي يمتلكها والده، وتلك مسؤولية كبيرة، ولذا فحتى عندما يكون متواجدًا هنا بيننا فعقله وتفكيره يكونان في مكانٍ آخر.

قالت تلك الجملة التي تحمل الكثير من المعاني ثم نظرت إلى زوجها بعدم اكتراث، وأكملت وهي تغادر المكان:

- أرجو المعذرة، فأنا لا أستطيع الانتظار أكثر من هذا وإلا سأتأخر عن عملي.

ثم التفتت ناحية (نورا) وقالت لها:

- وبالطبع يمكننا أن نتحدث في وقتٍ لاحق، فما حدث قد حدث.

وراقبتها (نورا) وهي تبتعد بينما قال (مالك) مبررًا:

- بالأمس تشاجرنا مشاجرة كبيرة، ولهذا السبب فهي تبدو غاضبة، كما أن حدوث جريمة قتل في المكان الذي يقيم به أي شخص، ليس بالأمر الهين.

فسألته (نورا) مباشرة:

- وهل المشاجرة التي نشبت بينكما بسبب معاقرتك للخمر؟

فطأطأ (مالك) رأسه، ثم قال:

- أنا متعب للغاية وأرغب بشدة في الحصول على قسطٍ من الراحة بعد ليلةٍ طويلة من السهر.

فتركته (نورا) يغادر هو الآخر بينما توجهت هي إلى حيث غرفة (منال) وزوجها التي أصبحت مسرحًا للجريمة، وهناك على المدخل كان (مرزوق) يجلس القرفصاء على الأرض وهو في حالة صدمةٍ شديدة، حتى أنها سألته ما إن كان يحتاج إلى مساعدةٍ طبية ولكن الرجل هز رأسه بالرفض، فظلت هي واقفة بجواره تنظر إليه وهي تشعر بالشفقة والرثاء، وأخذت تتأمل المكان من حولها ثم توجهت إلى المطبخ الذي كان واسعًا ومرتبًا ونظيفًا بطريقةٍ ملحوظة، ورأت صحفة عليها بعض الأطباق التي تحتوي على أصنافٍ مختلفة من الأجبان والزيتون والعسل، وكانت (سعاد) تسعل وهي تجلس في زاويةٍ بعيدة بجوار نافذة تطل على الحديقة، تُركت مفتوحة، فنظرت عبرها (نورا) ورأت النباتات التي بدأت تزهر وهي تتراقص مع نسمات الرياح الرقيقة، وكان بالحديقة بالقرب من النافذة، ثلاثة مقاعد مرصوفة وأمامهم طاولة خشبية، ففكرت أنه ربما قفز القاتل من هذه النافذة إلى الداخل، ولكنها لم تتوقف كثيرًا عند هذه النقطة السابقة لأوانها وقررت أن تعود إلى حيث غرفة (منال) لتطمئن على سير الأمور هناك، وبطريقها عبرت من أمام باب حمامٍ صغير، فدخلته وكان خاليًا ونظيفًا، فأكملت الخطوات المتبقية حتى مسرح الجريمة وعلى يمين الباب لاحظت صورة كبيرة معلقة لرجل مُسن يبدو أنه الجد الأكبر للعائلة، وبجوار الصورة يوجد قفص فضي مخصص للطيور، وكان خاليًا ثم إبريق كبير من الخزف الأزرق الأنيق، وبعد كل هذا بدأت تفوح رائحة غريبة حيث ترقد (منال) جثة هامدة، وما أن شعرت بها (نورا) حتى تمتمت قائلة:

- للموت رائحة لا يمكن أبدًا أن يخطئها أي أنف.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

-2-

بينما كانت (نورا) غارقة في قضية مقتل الخادمة (منال) كان (أمير) في العاصمة على الضفة الأخرى من النهر، يستمتع بوقته مع والده محاولًا بجهد تعويض غيابه عنه طوال الأشهر التي انتقل فيها للعمل بعيدًا عن مسقط رأسه، تاركًا خلفه إرثًا ضخمًا من الذكريات الصعبة التي يبذل أقصى ما في وسعه للفرار منها، وبينما هما يجلسان في أحد المقاهي، قال (أمير) محدثًا والده:

- أنا أفكر في العودة قريبًا إلى مكتبي هنا.

وتوقع أن هذا الخبر سيُسعد والده الذي احتسى رشفة من كوب قهوته، ثم قال وهو يستطعمها في فمه:

- هل تتوقع أن يتغير طعم القهوة السيئة إن نقلتها من كوبٍ إلى آخر؟

فهم (أمير) المغزى من السؤال على الفور، ولذا لم يجب عليه، وظل ينظر في عيني والده، الذي أردف معقبًا:

- لا يهم، أين ستكون بجسدك يا بُني، ولكن ما يهم في الحقيقة، هو ما تحمله في أعماقك من مشاعر حتى وإن أخفيتها.

التزم (أمير) بالصمت، فهو يحب أن يستمع إلى ما يقدمه إليه والده من نصائح بصدرٍ رحب دون تأفف أو ضجر، فذلك يشعره بأنه لا يزال طفلًا، يحيا في كنف أسرته، وكان هو من داخله يعشق تلك المشاعر.

فأكمل الأب قائلًا:

- هناك أشياء لن يمكنك أبدًا الفرار منها مهما حاولت يا ولدي، وكلما ظننت أنك نجحت في الابتعاد، ستجدها قد أصبحت أقرب إليك من أنفاسك، فالقدر لا يمكن التحايل عليه.

فهز (أمير) رأسه بالموافقة، ولكنه ظل صامتًا، فعاد والده ليقول:

- عندما عرفت بأن أمك مصابة بالسرطان، وأنها لن تحيا لأكثر من ستة أشهر، لم أخبر أحدًا، وقررت أن أجعل تلك الأشهر القليلة المتبقية عمرًا بأكمله، ولم أكن أقصد أن أجمع أقصى ما يمكنني من ذكريات معها بل تعمدت أن تسير حياتنا بنفس النسق الذي اعتدنا عليه، فعشنا كما كنا من قبل ولكن بطريقةٍ أكثر عمقًا، ولم أُحمل نفسي فوق طاقتها ولم أحمل أمك أيضًا ما لا يمكنها تحمله.

ثم أخذ نفسًا عميقًا وأردف قائلًا بعد لحظات:

- السعادة الحقيقية هي أن تعرف ما هو هدفك في هذه الحياة وتسعى إليه حتى وإن لم تحققه.

وطال الحوار بين الرجلين، والمشاعر الدافئة المشبعة بالحب الحقيقي والود، والحنان الذي يملأ كل كلماته النابعة من القلب.

بينما في (مدينة الظلام) يدور حوار آخر بخصوص التحقيق في مقتل الخادمة (منال).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد أن غادرت (حنان) الفيلا إلى عملها بوقتٍ قليل، ظهر السيد (أمين) وهو في غاية التأنق حتى أن عطره قد سبقه بمسافةٍ كبيرة، وبجواره كان يسير ابنه السيد (مالك) وما أن أصبحا في مواجهة (نورا) تمامًا، بين المطبخ

وبين مدخل غرفة (منال) حتى توقفا، وبدأ (أمين) في الحديث بهدوءٍ ورزانة:

- سيادة المحققة، أرجو أن تعتبري نفسك في بيتك، فلكِ حرية التحرك في أي مكانٍ تشائين، فنحن سنضطر إلى المغادرة الآن وأنتِ تعلمين بالطبع أن التعامل في سوق الأوراق المالية لا يحتمل أبدًا دقائق من التأخير، وبدون شك سيكون هناك المزيد من اللقاءات التي سنتحدث بها سويًّا بخصوص المأساة التي حدثت في بيتي، وكلي يقين من أنكِ ستصلين إلى حلٍّ لتلك الجريمة في القريب العاجل؛ كما أنني أحب أن أبلغك بأنه لا يوجد أي شيءٍ ذو قيمة قد فُقد من الفيلا.

فلم تشأ (نورا) أن تعترض أو أن تمنعهما من المغادرة إلى حيث يرغبان، فهذا ليس من حقها في هذه المرحلة المبكرة من التحقيقات، ولذا قالت باقتضاب:

- كما ترغب يا سيد (أمين).

ورمقتهما بنظرةٍ متفحصة بينما اقترب (أمين) من حيث يقف (مرزوق) ووضع يده على كتفه، وقربه إليه برفق، ثم قال له:

- للمرة الثانية أقدم لك أحر التعازي، وأريدك أن تكون على ثقةٍ من أن رجال التحقيقات الجنائية لن يدخروا جهدًا في حل القضية، وحينها ستأخذ العدالة مجراها الطبيعي، وأرجو أن تعتبر نفسك في إجازة مدفوعة الأجر، وغير محددة بفترةٍ زمنية حتى ترغب أنت في العودة إلى العمل من تلقاء نفسك.

وغادر الرجل مع ابنه الذي يشبهه بطريقةٍ لا يمكن تجاهلها أبدًا بأي حالٍ من الأحوال.

وشعرت (نورا) أن الوقت قد حان لكشف أسرار هذه الفيلا الضخمة ولا يوجد أفضل من شخصٍ يقيم داخلها كي يفعل هذا الأمر، فتوجهت إلى المطبخ، وطلبت من (سعاد) بنبراتٍ ودود أن تتبعها إلى الحديقة إن كانت حالتها النفسية والصحية تسمح لها بذلك.

وهناك بدأ حوار ستبني (نورا) عليه الكثير والكثير من التصورات بخصوص هذا التحقيق.

- منذ متى وأنتِ تعملين هنا؟

كان هذا هو السؤال الأول بعد العديد من الجُمل التشجيعية التي قالتها (نورا) كي تبث القوة والتماسك داخل (سعاد) التي بدا عليها أنها ليست بخير إلا أنها أجابت بنبراتٍ ضعيفة:

- منذ ثلاثة أعوام تقريبًا، وذلك عن طريق السيدة التي كانت تعمل هنا كخادمة قبل أن تحل محلها (منال) فهي التي طلبت مني العمل في فيلا مخدومها بعد أن مدحته كثيرًا، وأشادت بدماثة خلقه، وحسن تعامله.

فسألتها (نورا):

- وهل تبين لكِ صدقها فيما قالته عن السيد (أمين)؟

وبدون أدنى لحظة من التردد، أجابت (سعاد):

- نعم، فالرجل بحق رائع في كل شيء، ولم يصدر منه أي تصرف يمكن أن يضايقني، كما أنه شديد الكرم، وقد كنت في غاية السعادة طيلة العامين الأول والثاني ونيف من العام الثالث.

ثم صمتت بعد أن تنهدت بعمق، فتوقعت (نورا) أنها لا بد ستستطرد في الكلام، ولكن ما حدث أنها لم تفعل بل التزمت الصمت وإن ظهر على ملامحها الكثير من علامات التوتر والقلق وربما الخوف، فأخذت (نورا) تتلفت حولها في الحديقة الرائعة والأشجار المكسوة باللون الأخضر الجميل، وقد وضعت خطًّا أحمرًا في عقلها تحت الجملة التي قالتها (سعاد) ثم عقبت قائلة وهي تحاول تغيير اتجاه الحديث تمامًا:

- الجو اليوم في غاية الروعة.

فهزت (سعاد) رأسها مؤمنة على ذلك، ثم أردفت وهي تسعل بقوة:

- بالفعل إنه في غاية الروعة، ولا يليق بأن يكون طقس حداد أبدًا.

فسألتها (نورا):

- هل تسكنين قريبًا من هنا؟

فأجابت:

- لا.

فأنا أسكن في الضواحي على بعد أكثر من ساعتين، ولذا فكثيرًا ما أقضي اليوم بأكمله في الفيلا، وأحيانًا أخرى أرجع إلى بيتي عند حلول المساء إن انتهيت من العمل في وقتٍ يسمح بذلك، وفي الصباح الباكر أعود كي أعد طعام الفطور وفي أيام العطل كانت (منال) تقوم بإعداد الطعام نيابة عني كما أنني كنت أيضًا أساعدها كثيرًا في عملها.

فقالت (نورا):

- هل أفهم من ذلك أنكما كنتما متفاهمتان ومقربتان من بعضكما البعض؟

فأجابت (سعاد) على الفور دون أن تنتقي كلماتها:

- متفاهمتان نعم، ولكن مقربتان لا.

وضعت (نورا) خطًّا أحمرًا ثانيًا تحت هذه الجملة أيضًا، وكانت تتبع طريقة (أمير الوكيل) في استجواب (سعاد) بحيث تمنحها أكثر من اتجاه كي تتحدث بحريةٍ دون أن تُضيق عليها الخناق، وأخذت تتابع بدقة لغة جسدها وهي تتحدث، وأنبأتها تلك اللغة بأنها تقول الحقيقة حتى الآن، فسألتها:

- وماذا عن السيد (مالك)؟

كان هذا السؤال هو نقطة تحول في مجريات الحوار حيث ظهر على (سعاد) التوتر الشديد، والقلق لدرجة أنها لا إراديًّا تلفتت حولها كمن تتفقد المكان وما إن كان هناك أي شخص يستمع إلى ما ستقوله أم لا، وأخيرًا تحدثت:

- لا أعرف كيف أجيب عن هذا السؤال، وأرجو أن تقدري حساسية موقفي، فكل ما سيسعني

قوله هو أن الكثير من المشاكل والتوترات أصبحت تُثار مؤخرًا بين أروقة هذا المنزل الذي كان يتسم بالهدوء الشديد بعد التغير المفاجئ في سلوك السيد (مالك).

ثم صمتت (سعاد) لبرهة، وأخذت تتابع بعينيها فراشة صغيرة، تتنقل من زهرةٍ إلى أخرى قبل أن تكمل قائلة:

- تزوج السيد (مالك) منذ عام ونصف تقريبًا من (حنان) وبعد ذلك ببضعة أشهر تحول إلى شخصٍ آخر سريع الغضب، يثور لأتفه الأسباب، ويتلفظ بالكلمات البذيئة، ويتصرف بأساليب تنافي الآداب العامة.

ثم هزت رأسها بطريقةٍ تعبر عن عدم رضاها عن كل ما كان يحدث في تلك الفترة، فسألتها (نورا):

- هل تقصدين أن (حنان) هي السبب في التغيرات التي طرأت على زوجها؟

فنفت (سعاد) الأمر على الفور قائلة:

- بالطبع لا، فهي سيدة رقيقة وناعمة، وتتعامل مع الجميع بطريقةٍ مهذبة جدًّا وراقية.

فكان السؤال التالي:

- إذًا، تقصدين أن (منال) هي السبب في ذلك؟

فلم تُجب (سعاد) على الفور، والتزمت الصمت الذي يعني القبول لفترة قبل أن تجيب:

- لقد أصبح السيد (مالك) يشرب الخمر بكثرة، وفي أوقاتٍ كثيرة كان يسير مترنحًا في المنزل، مثيرًا عاصفة من الضجيج الشديد وهو في حالة سُكرٍ بين، وثورة عارمة.

وقبل أن تسألها (نورا) أجابت كما لو كانت تقرأ أفكارها:

- ولم يرضَ أبدًا السيد (أمين) عما يحدث في بيته، وبالرغم من حبه الجنوني لابنه الوحيد إلا أنه حاول لعشرات المرات أن يتصدى لهذا الجنون وأن يوقفه كما أنه زاد من راتبي كمحاولةٍ منه لترضيتي، وتعويضي عما أتعرض له من أشياءٍ سيئة، وأتوقع أنه فعل نفس الشيء مع (مرزوق، ومنال).

رسمت (نورا) سريعًا تصورًا مبدئيًّا عن نمط الحياة في الفيلا، وتخيلت كيف كان يعيش أفراد العائلة، وأجلت الولوج إلى داخل التفاصيل الدقيقة للمرحلة المقبلة من التحقيقات، ولذا جاءت بالسؤال الأهم:

- كيف اكتشفت الجريمة؟

فتغيرت ملامح (سعاد) من التوتر والضيق إلى الخوف والحزن، وأجابت وصوتها يشي بكل ما تشعر به من ألم:

- في الساعة الخامسة والنصف صباحًا عادة ما تستيقظ (منال) وتتناول الإفطار معي هي و(مرزوق) هنا بالمطبخ، وبالأمس عرفت منها أن زوجها سيكون خارج المدينة في رحلة عملٍ مهمة قد أرسله إليها السيد (مالك) وفي الصباح انتظرت أن تأتي (منال) إلى المطبخ ولكنها لم

تفعل، وبعد ساعة كاملة تناولت فيها فطوري وأعددت الطعام للعائلة، توجهت كي أوقظها وأنا على يقين من أنها تأخرت في النوم لسببٍ ما، ولكنني ما أن فتحت باب غرفتها بعد أن طرقته طويلًا بلا رد، حتى وجدتها جثة هامدة، والسكين مغروس في عنقها، فظللت أصرخ من الصدمة حتى وصلت السيدة (حنان) ودخلت الغرفة وفتحت الشرفة لتفاجأ بالمنظر البشع وكادت أن تفقد الوعي، فهي لا تتحمل رؤية الدماء أبدًا.

سألتها (نورا):

- هل هذا السكين من أدوات المطبخ التي تستخدمينها؟

كان السؤال صادمًا ومفاجئًا حتى أن (سعاد) ارتبكت وهي تجيب قائلة:

- ليس من أدوات المطبخ، وإن كنت على يقين من أنني رأيت مقبضه البني ذا النقوش الصفراء هنا في البيت، ولكن لا أذكر أين.

واختتمت (نورا) الحوار قائلة:

- من تظنينه قد يكون له مصلحة من قتل (منال)؟

فرفعت (سعاد) رأسها إلى الأعلى فرارًا من نظرات (نورا) الحادة ثم أجابت بنبراتٍ مذبذبة:

- لا أعلم، فتلك المسكينة لم يُسعفها الوقت لترى طفلها القادم.

فسألتها (نورا) على الفور:

- وهل كانت (منال) حاملًا؟

ابتلعت (سعاد) ريقها وهي تجيب:

- نعم أظن ذلك، ولكنني لست على يقين من الأمر، فهي لم تخبرني بشيء، ولكنه مجرد تكهن مبني على خبرتي كامرأة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في بهو الفيلا وقف أحد رجال الشرطة في مواجهة (نورا) وقال وهو يشير بيديه:

- لقد تلقت طعنة نافذة في العنق دون أدنى مقاومة منها، فلا بد أن الجاني قد تسلل إلى غرفتها خلسة، وقتلها وهي نائمة، كما أنه لا توجد آثار لعملية سرقة، ولا توجد مفقودات ذات قيمة كما أخبرنا السيد (أمين) وكذلك لا شيء يدل على أن القاتل قد حاول اقتحام المكان عنوة، فإما أن يكون شخص ما قد فتح له الباب من الداخل أو أنه من سكان الفيلا.

كانت تلك هي المعلومات الأولية التي توصل إليها رجال الأدلة الجنائية، واختتم الشرطي كلامه قائلًا:

- وجاري رفع البصمات من مسرح الجريمة بالكامل.

شكرته (نورا) ثم قررت أن تؤجل الحديث مع (مرزوق) لفترة بعد أن تتجول في الفيلا من الداخل بمفردها، فطافت بالبهو الكبير، وتفقدت المطبخ مرة أخرى، ومنه إلى الحمام الصغير المجاور له، ومرت بجوار الصورة الكبيرة للرجل العجوز وقفص الطيور الفارغ وتعجبت من كونه فارغًا،

ثم ألقت نظرة خاطفة على غرفة (منال) التي تعج برجال الشرطة، ثم صعدت السلم المعدني، ودخلت غرفة نوم السيد (أمين) وكانت واسعة المساحة، وفي غاية الفخامة، والروعة، فظلت تتأمل زواياها بانبهارٍ وهي تتمتم:

- يا إلهي، وكأنه يحيا في عالمٍ من الأساطير الخيالية.

وأخذت تتفقد المكان الذي يغلب عليه اللون الفضي اللامع، ثم توجهت إلى غرفة مكتبه حيث كانت تتحدث معه منذ ساعتين تقريبًا، وذهبت إلى خلف المكتب الوثير ثم جلست على الكرسي الجلدي الضخم، ودارت به دورة كاملة حول نفسها، ثم توقفت، وقامت من مكانها وهمت بمغادرة الغرفة قبل أن تلمح شيئًا جعل الدماء تتجمد في عروقها.

قطعة من الجلد البني الداكن بلون البندق تتوسط سطح المكتب، وفوقها قلم بنفس اللون، وكلاهما على جانبه نقوش صفراء مميزة تمامًا كتلك التي على مقبض السكين المغروس نصله في عنق (منال).

إذًا سلاح الجريمة لم يكن سكينًا يُستخدم في المطبخ بل هو آلة فتح الأظرف الخاصة بمكتب السيد (أمين) صاحب المنزل، فهل يعني هذا أن التحقيق في تلك القضية سينتهي قريبًا بوجود بصمات (أمين) ثم باعترافه أم أن القصة ستزداد غموضًا في الساعات القادمة؟

سيقف هذا السؤال حائرًا بلا إجابة على الأقل في الوقت الراهن، وقبل أن تغادر (نورا) غرفة المكتب، جال بخاطرها (أمير) فأمسكت بهاتفها المحمول لتتحدث معه وهي تحدث نفسها قائلة:

- أنا حقًّا أفتقدك يا برتقالي الشعر.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- مرحبًا يا سيادة النقيب، كيف حالك يا (نورا)؟

هكذا أجاب (أمير) بمنتهى الرسمية وهو يجلس بجوار والده في صالة بيته، ثم بعد أن اطمأنت منه على صحة أبيه، قالت بنبراتٍ تعمدت أن تكسوها بالغموض:

- لقد حدث هنا شيء ما.

وتوقعت أن يسألها عن هذا الشيء، ولكنه لم يفعل، فأكملت:

- شيء من النوع الذي تفضله، ويسيل له لعابك.

فبرقت عينا (أمير) بطريقةٍ لاحظها والده، وإن ظل ملتزمًا الصمت حتى قالت (نورا) أخيرًا:

- لدينا جريمة قتل يا سيدي.

فتمتم (أمير) متسائلًا:

- جريمة قتل؟

وكانت تلك الجملة كفيلة بأن تحفز كل حواسه، ولكنه أظهر عدم الاهتمام عندما لاحظ أن والده يتابع الحوار، وقال:

- حسنًا يا (نورا) أنا أثق بكِ وبقدراتكِ، وقد كنت أنوي العودة في صباح الغد، ولكنني لن أفعل فأنا في حاجةٍ إلى المزيد من الوقت هنا مع أبي.

وانتهت المكالمة، وكل واحد من ثلاثتهم في داخله علامة استفهام.

ف. (نورا) تساءلت من داخلها عن مدى قدرة (حارس جهنم) على مقاومة وجود جريمة قتل غامضة في نطاق عمله دون أن يترك كل شيء ويُسرع ليلقي بنفسه في قلب أحداثها.

و(توفيق) والد (أمير) تساءل عما إذا كان ابنه يرغب حقًّا في أن يعيش حياة طبيعية دون أن يُحمل نفسه فوق طاقتها، فهو كما يقول له دائمًا لن يستطيع أن ينقذ الكون إن لم يتمكن من إنقاذ نفسه في المقدمة.

أما (أمير) شخصيًّا، فتساءل عن مدى نجاحه الحقيقي في تكبيل جموح شهوته تجاه عمله وسيطرته عليها، فهل بحق سيتمكن من البقاء هنا بجوار والده ليومٍ آخر أم أنه سيُسرع بالعودة إلى حيث الدماء المراقة؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

غادرت (نورا) الفيلا إلى مكتب البحث الجنائي والشمس تقارب على المغيب، فهناك الكثير من الأمور العالقة والتي تحتاج إلى وجودها العاجل، ف. (أمير) في عطلته الأسبوعية التي من النادر أن يقوم بها، و(خالد) خارج المدينة يعمل متخفيًا في عملية (مافيا الموت) تلك العملية المطولة التي لن تنتهي قريبًا، وبالتالي أصبحت هي - بالرغم من صُغر سنها - الضابط المسؤول عن المكتب في المدينة.

ولم يطل وجودها هناك لأكثر من ساعتين ونصف تقريبًا، وبعدها قررت أن تعود إلى منزلها لبعض الوقت كي تبدل ملابسها قبل أن تذهب للحديث مع (مرزوق) زوج الضحية التي ترقد كجثةٍ هامدة في أحد أرفف مشرحة المدينة.

وبعد أن قبلت أمها وعانقتها، توجهت إلى الحمام بسرعة، وهناك تركت الماء المنعش ينساب على جسدها لتغتسل به من كل مشاعر التعب والإرهاق التي تنهش جسدها، فهي منذ أشهر طويلة وتحديدًا منذ أن وصل (أمير الوكيل) إلى مدينتها وأصبح رئيسها المباشر، لم تحصل على أي قدرٍ من الراحة الجسدية أو الذهنية، فهو رجل لا يهدأ أبدًا ولو للحظاتٍ ليلتقط فيهن أنفاسه، ولا يؤمن بمبدأ أن من حق ضابط الشرطة أن يحصل على أبسط قدرٍ من الراحة، وكما قال لها ذات يوم:

- هناك نوعان من الناس خلقهم الله؛ النوع الأول هو رجال الشرطة، والنوع الثاني هو بقية الناس، ونحن كرجال شرطة لا يليق بنا أن ننام بهدوءٍ أبدًا.

ووجدت (نورا) نفسها تعدو بجواره مضطرة وهي تلهث في محاولةٍ منها لمجاراته في العمل مما أصابها بالإرهاق الجسدي، وعلى الجهة الأخرى كان مجرد الاقتراب من هذا الرجل يصيب روحها بالشتات بعد أن غرقت في متابعة أدق تفاصيله، وطريقة تعامله، وردود أفعاله، وأصابها ذلك بالإرهاق الذهني، فبكل وضوح يمكن لمن يتابع شكل العلاقة التي تربط (نورا) ب. (حارس جهنم) أن يقول دون تردد أنها قد أدمنته حتى النخاع.

وظل السؤال المختبئ في أعمق زاوية في روحها:

- هل هي حقًّا تحبه؟

هزت رأسها بشدة فتناثر الماء من شعرها القصير، وقالت محدثة نفسها، وهي تخرج من تحت الماء المنهمر:

- بالطبع لا، فهو كالنار التي تجذب إليها فراشة حمقاء لتحرق أجنحتها، وأنا لست بمثل هذه السذاجة أبدًا.

وبعد وجبةٍ خفيفة، ارتدت ملابسها بأناقة، وتعمدت أن يغلب عليها اللون الأسود، وتوجهت إلى فيلا السيد (أمين).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

شعرت (نورا) بلمسة بردٍ غير قارصة وهي تغادر سيارتها متجهة إلى باب الفيلا الحديدي، وبدا لها أن الشتاء لا يزال يقاتل باستماتة كي يثبت لأهل المدينة أنه لن يُهزم بسهولة.

وما أن فتحت (حنان) الباب حتى لاحظت (نورا) على الفور ملامح الضيق والتذمر على وجهها، وقبل أن تسألها عن السبب، أجابت وهي تدعوها إلى الدخول:

- لقد أصبحنا هدفًا لكل صحفيي المدينة، فلم ينقطع توافدهم إلى هنا منذ أن شاع خبر جريمة القتل.

ثم أردفت بعد أن أغلقت الباب:

- فالسيد (أمين) شخصية عامة، ومعروفة في سوق المضاربة وتداول الأوراق المالية.

لم يعجب (نورا) تدخل الصحافة في القضية، فهذا يعني الكثير من الضغوط التي سيمارسها الرأي العام على مكتب التحقيقات من أجل الوصول السريع لحلٍّ لهذه العملية، وخاصة أن مجتمع المدينة الصغير يعتبر تربة خصبة لنمو الشائعات وانتشارها.

وما أن أصبحتا السيدتان في منتصف البهو حتى نظرت (حنان) بتساؤلٍ إلى (نورا) ولسان حالها يقول:

- هل أنتِ هنا الآن من أجلي؟

وفهمت (نورا) بالطبع ذلك فابتسمت بود، وقالت لها:

- هل من الممكن أن أحصل على كوب من القهوة قليلة السكر؟

فقالت لها (حنان):

- سأعده لكِ بنفسي، فـ (سعاد) شعرت بتوعكٍ شديد مما جعلها تذهب إلى المستشفى للحصول على الرعاية الطبية اللازمة.

وتوجهت على الفور إلى المطبخ وهي تشعر من داخلها أنها نجت من أنياب المحققة الشرسة كما أطلقت عليها سرًّا بينما أخذت تراقبها وهي تبتعد.

وكان (مرزوق) هو الهدف هذا المساء، ولذا توجهت (نورا) إلى حيث أخبرتها (حنان) أنه يوجد في شرفةٍ واسعة تطل على الحديقة الأنيقة المحيطة بالفيلا، وبالفعل وجدته هناك يجلس

وحيدًا على مقعدٍ خشبي في الزاوية، وقد شبك ذراعيه أمام صدره، ونظره معلق بالأفق البعيد الذي غلفه الظلام الدامس، فالسماء هذه الليلة معتمة وكئيبة فلا قمر بها، وبعد أن حيته بود اقتربت منه، وقالت:

- هل تسمح لي بالجلوس معك، والحديث لبعض الوقت يا سيد (مرزوق)؟

فأجابها الرجل دون أن يغير من الوضع الذي وجدته عليه:

- بالطبع أيتها المحققة.

فجلست بجواره، وسألته سؤالًا بدا لها سخيفًا جدًّا بعد أن طرحته:

- كيف حالك يا سيدي؟

فنظر إليها (مرزوق) نظرة بلا معنى، ولم يجب، فعادت لتقول:

- أنا أعرف أن الصدمة قوية جدًّا، ومهما حاول أي شخص أن يضع نفسه في مكانك فلن يمكنه أبدًا أن يتصور حجم الألم، ولذا...

وقبل أن تكمل، قاطعها بحدة قائلًا:

- لا أريد من أحد أن يضع نفسه في مكاني، فأنا كفيل بهذا الأمر، ولكنني أريدكم جميعًا وأنتِ أولهم يا سيدتي، أن تضعوا أنفسكم في مكان (منال) التي قضت نحبها غدرًا بطريقةٍ بشعة، وحينها فقط يمكنكِ أن تسأليني؛ كيف حالي؟

قدرت (نورا) الوضع النفسي السيئ للرجل، ولذا لم تجادله، ولم تتفوه بحرفٍ واحد حتى شعرت أنه قد هدأ، فبدأت في الحديث:

- سيد (مرزوق) كما أخبرتك من قبل، فأنا أُقدر تمامًا فداحة ما حدث، وتلك الفداحة تحتم علينا أن نتجاوز أحزاننا في سبيل أن تحصل (منال) على أقل حقوقها بعد وفاتها، وهو أن يلقى من ألحق بها الأذى جزاءه الذي يستحق في أسرع وقتٍ ممكن.

فهز (مرزوق) رأسه بالموافقة ونظر إليها، فوجدت في عينيه الكثير من معاني الحزن والفقد لدرجة أنها ظنته على وشك أن يبكي، وهو يقول:

- لقد كنت أحبها بجنون بالرغم من كل شيء.

«بالرغم من كل شيء» تلك التي قالها (مرزوق) لفتت انتباه (نورا) بالطبع، ولكنها لم تعلق، وتركته يسترسل:

- أنا في واقع الأمر أحبها منذ تعلمت كيف يكون الحب، فقد ترعرعنا سويًّا بحكم قرابتنا العائلية، فكانت هي الأقرب إلى قلبي دائمًا حتى تزوجنا، وكنت حينها أعمل عند السيد (أمين) وأوضاعي المادية تحسنت إلى حدٍّ ما، وعندما علمت بحاجتهم إلى سيدةٍ تهتم بأمر المنزل، ترددت في البداية، فأنا لم أرغب أبدًا ل (منال) أن تقوم بهذا العمل، ولكن الشيء الإيجابي الوحيد بالموضوع هو أننا سنكون بالقرب من بعضنا البعض، فهي كثيرًا ما شكت من الفترات الطويلة التي أقضيها مع السيد (أمين) في العمل، ووجودها هنا في الفيلا سيحل تلك المشكلة، وأخيرًا وجدنا أن إقامتنا هنا ستوفر علينا مبلغًا كبيرًا، كنا ندفعه كإيجارٍ شهري.

ثم توقف عن الكلام، وأشعل سيجارة، وأخذ ينفث دخانها عاليًا دون أن يتحدث، فسألته (نورا):

- وهل كانت هي سعيدة في عملها الجديد؟

لم يُجب (مرزوق) على الفور، وظل ملتزمًا الصمت لأكثر من دقيقة حتى تحدث أخيرًا، وقال:

- في البداية كان كل شيءٍ على ما يرام، وبدت الحياة في غاية الروعة، فأصبحت الأوقات التي نقضيها سويًّا أطول، وتحسنت حالتنا المادية كثيرًا لدرجة أننا كنا نستعد كي نشتري شقة صغيرة خاصة بنا في أطراف المدينة، ولكن مؤخرًا تغيرت حالة (منال) النفسية دون أن أعرف لماذا، وأصبحت عصبية جدًّا وتثور لأتفه الأسباب، وتعقدت الأمور بيننا حتى أنني اقترحت عليها أن تترك العمل ونغادر الفيلا على الفور، ولكنها رفضت، فلم أعرف كيف أتصرف، وقررت أن أمنحها بعض الوقت كي تستعيد نفسها، وتعود إلى سابق عهدها كي نتمكن من إنقاذ زواجنا، ولكن الأمور ساءت أكثر حتى أصبحت أتعمد تجنبها كي لا تنشب بيننا المشاكل.

ومن جديد عاد (مرزوق) إلى الصمت، فأدركت (نورا) على الفور أن هناك ما يخفيه بشأن علاقته بزوجته الراحلة، فسألته:

- من وجهة نظرك، ما هو سبب تغير طباع (منال)؟

ولماذا لم تقبل بالرحيل وترك العمل كخادمة في الفيلا بعد أن طلبت منها ذلك؟

فتريث (مرزوق) للحظات قبل أن يتنهد ثم يقول:

- المال هو السبب، فهي أصبحت في حالة تمرد على واقعها عندما رأت نمط حياة أصحاب الثروة، وبدأت في المقارنة بين حياتهم وحياتها.

فلم تشأ (نورا) أن تتوقف عند هذه النقطة كثيرًا، وغيرت من نبرات صوتها لتجعلها أكثر جدية، وخالية من مشاعر التعاطف، وسألته:

- أين قضيت الليلة الماضية؟

ومتى آخر مرة رأيت فيها (منال) على قيد الحياة؟

أجاب (مرزوق) بثقةٍ شديدة:

- لقد تناولنا طعام الغداء سويًّا هنا في الفيلا، وبعدها كنت مكلفًا بالذهاب إلى مدينة (العرين) في المساء كي أترك لأحد عملائنا هناك بعض الأوراق التي تخص العمل، وقضيت الليلة هناك عند أحد أقاربي، ففي الصباح الباكر كان يجب أن أذهب إلى أحد البنوك هناك كي أودع شيكًا باسم الشركة، وبعد أن أنجزت الأمر تناولت فطوري، وعدت إلى المدينة وأنا في غاية التعب، فأنتِ تعرفين أن الطريق طويل، ويستغرق أكثر من أربع ساعات، وحينها فوجئت بما حدث ل. (منال) وكانت تلك هي صدمة عمري التي لا أستطيع أن أصدقها حتى الآن.

سألته (نورا) عن كافة معلومات رحلة العمل تلك، ثم قالت له:

- ومن الذي طلب منك أن تذهب؟

هل السيد (أمين) هو من فعل؟

فأجاب باقتضاب، وهو يقوم من حيث كان يجلس:

- لقد أبلغوني في العمل.

كانت إجابته مبهمة، وفهمت منها (نورا) أنه لن يمنحها ما تريد، على الأقل في الوقت الراهن، فأسرعت بسؤاله قبل أن يغادر الشرفة:

- خلال عامين من الزواج؛ لماذا لم تحاولا الحصول على طفل؟

فنظر إليها بحنق، وقال قبل أن يختفي داخل الفيلا تاركًا إياها بمفردها في الشرفة:

- لم يكن الوقت قد حان بعد، ويبدو أنه لن يحن إلى الأبد.

فكرت (نورا) كثيرًا في كل كلمةٍ قالها (مرزوق) وتعجبت من كونه لا علم له بأمر حمل زوجته الذي نوهت عنه (سعاد) في الصباح، وما إن كانت (منال) بالفعل تحمل في أحشائها طفلًا، ثم أخذت تسترجع جميع أحداث اليوم التي كانت حافلة، وشعرت بحجم المسؤولية الملقاة على عاتقها لكونها من تدير مكتب البحث الجنائي في ظل غياب كل من (أمير وخالد) وفي تلك اللحظة بالذات تمنت لو أن أحدهما هنا الآن بجوارها بخاصة لو كان (أمير الوكيل).

وفجأة وهي وسط كل تلك الأفكار المتلاطمة، نظرت في ساعتها لتكتشف أنها ظلت أكثر من ساعتين في شرفة الفيلا بمفردها بعد أن تركها (مرزوق) ورحل، فهي لم تشعر بمرور الوقت أبدًا، وظلت غارقة في أفكارها، وتصوراتها عن الجريمة دون أن تحرك ساكنًا، فتمتمت وهي تسرع بالفرار إلى منزلها الذي تفتقده:

- يبدو أنك قد أصبتني بالعدوى يا (حارس جهنم).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الحادية عشرة والنصف ليلًا، و(نورا) تتمدد في سريرها بعد أن تناولت عشاءً خفيفًا مع أمها، وبدلت ملابسها لترتدي منامة مليئة بصور شخصيات الرسوم المتحركة التي يعشقها الأطفال (توم وجيري) فبدت كفتاةٍ عادت للتو من مدرستها وليست كمحققة في مكتب البحث الجنائي.

وأمسكت بهاتفها المحمول لتتحدث مع (أمير) كي تشبع فضوله الرهيب بأن تحكي له تفاصيل جريمة مقتل (منال) وبالفعل جاءها صوته برزانته المعهودة مرحبًا بها:

- مرحبًا يا (نورا) كيف حالك؟

وجدت نبراته مفعمة بالحيوية والنشاط، واستمر الحوار بينهما لأكثر من نصف ساعة حتى انتصف الليل.

والغريب في الأمر أنهما لم يتطرقا أبدًا إلى الحديث عن (خادمة القصر) كما أطلقت على (منال) فلم يسألها (أمير) أبدًا عن الجريمة، وبالتالي لم تأتِ هي على ذكر الموضوع، وظل الحوار بينهما لا يتعدى النقاش عن أمور الحياة العادية.

حتى تثاءبت ونامت دون أن تشعر، و(أمير) لا يزال معها على الخط.

وغرقت في عالم الأحلام حتى النخاع.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

-3-

في صباح اليوم التالي، تحرك (أمير) مبكرًا بصحبة والده إلى المستشفى، فهما على موعدٍ لعمل الكثير من الفحوصات الطبية التي كان يؤجلها الرجل العجوز طوال الأشهر الماضية، فهناك منطقة في طريق الألم، عندما يصل إليها الرجل يصبح الموت حينها لا يختلف كثيرًا عن البقاء على قيد الحياة.

ولكن وجود (أمير) وضغطه القوي على والده، جعله يقبل منح نفسه فرصة جديدة في معركة العيش، والاستماع إلى ما يطلبه منه الأطباء، وهذا الأمر أسعد (أمير) بشدة من داخله وخفف من شعوره بالذنب لكونه بعيدًا عن الرجل الذي منحه كل ما هو عليه الآن، فاعتبر أنه حقق انتصارًا كبيرًا على عناد والده حين أخضعه إلى الرعاية الطبية التي يحتاجها، وعلى الجهة الأخرى كان فخورًا جدًّا بنفسه لأنه حقق انتصارًا آخر، ولكنه هذه المرة انتصر على شهوته الخاصة وهاجسه العميق، لقد انتصر (أمير الوكيل) الرجل العادي البسيط على (حارس جهنم) ضابط الشرطة الذي يحتله من الداخل بقوة، ويجعله مدفوعًا دون إرادة منه إلى تدمير نفسه، وخسارة كل ما له قيمة في حياته.

فكونه يتجاهل تمامًا مجرد الحديث ولو عرضًا مع (نورا) عن جريمة القتل التي حدثت في (مدينة الظلام) بالأمس، فهذا في حد ذاته يعد إنجازًا لا يمكن تصوره، ومرحلة في حربه مع نفسه لم يكن يصدق أنه سيصل إليها بسهولة.

فهو كمدمن يفعل المستحيل كي لا يأخذ جرعة المخدرات التي في متناول يده ليُطهر جسده من سمٍّ يقتله ببطء.

ولكنه فعلها، وهذا في حد ذاته جعله يشعر بالسعادة، وإن كان هناك وخز لا يمكن تجاهله في مؤخرة رأسه يشعل رغبته العارمة في العودة بأقصى سرعة إلى قلب الحدث.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وفي نفس الوقت من الصباح تقريبًا، كانت (نورا) تجلس في مكتبها بمبنى البحث الجنائي، وأمامها جريدة من أكثر الصحف انتشارًا وتوزيعًا في المدينة، وكان أحد العناوين الرئيسية في الصفحة الأولى يقول:

«جريمة بشعة تعكر صفو الربيع القادم»

وجعل ذلك الأمر (نورا) تشعر بالغضب الشديد حتى أنها أزاحت الجريدة بقوة من على مكتبها، وقالت بنبراتٍ حادة:

- تبًّا لهذا الهراء.

فتدخل الصحافة سيُربك عمل رجال الشرطة بالتأكيد، وسيزيد الضغط عليهم، وسيمنح الشائعات فرصة ذهبية كي تنتشر كالنار في الهشيم، وهذا الأمر لا يرغب به أي محقق يعمل على حل جريمة قتلٍ محيرة كتلك التي حدثت في فيلا السيد (أمين) ولذا لا بد من التحرك بسرعة وعدم إضاعة الوقت، وهذا أيضًا أحد الأضرار التي ستحدث (التحرك بسرعة) فحينها لا بد أن الكثير من التفاصيل ستسقط سهوًا نتيجة الرغبة الملحة في إنهاء التحقيقات كي تنتهي

ملاحقات الصحافة ووسائل الإعلام التي تثير حفيظة أهل المدينة.

غادرت (نورا) مكتبها وهي على عجلةٍ من أمرها، وقررت أن تضع قائمة بما يتوجب عليها أن تفعله هذا اليوم وهي في طريقها إلى مشرحة المدينة حيث يرقد جسد (منال).

وبينما أخذت تقود سيارتها، بدأت في ترتيب أولوياتها لإلقاء القبض على الجاني، فهي الآن ستتحدث مع الطبيب الشرعي المسؤول عن تشريح الجثة والذي لن يضيف إليها الجديد، فـ (منال) ماتت مطعونة بآلةٍ حادة في العنق، ولكنها ستذهب كي تستعجل تقرير الوفاة النهائي.

وبعد أن تنتهي من ذلك ستذهب إلى مبنى الأدلة الجنائية لتعرف منهم نتيجة فحص البصمات في مسرح الجريمة، وما إن كان الخبراء هناك قد توصلوا إلى أي شيءٍ ربما يساهم في حل القضية.

ثم ترددت في ماذا ستكون خطوتها التالية، فهل تذهب إلى شركة السيد (أمين) لتتحدث معه ومع ابنه؟

وبذلك ستكون قد ضربت عصفورين بحجرٍ واحد.

أم تذهب إلى حيث تعمل (حنان)؟

كي تستخرج كل ما تحمله من معلوماتٍ خفية بخصوص زوجها، ربما لا ترغب في الحديث عنها علانية لحساسيتها، فما سمعته من (سعاد) عن التغير الجذري في سلوك (مالك) ربما يكون هو الخطوة الأولى في طريق البحث عن القاتل الغامض.

وفكرت (نورا) في عدة أسئلة يجب أن تحصل لها على إجاباتٍ نهائية موثقة حتى تتمكن من بناء تصورٍ كامل لأحداث ليلة الجريمة.

فأولًا؛ يجب التأكد من أن جميع مداخل الفيلا ومنافذها لم يتم اقتحامها، فهذا الأمر سيحصر دائرة الاشتباه في أهل البيت فقط.

وثانيًا؛ معرفة حجة غياب كل واحدٍ منهم، ومدى مصداقيتها، وسيمكنها هذا الأمر من تطبيق نظرية الاستبعاد؛ حتى تنحصر الشبهات في فردٍ واحد فقط أو فردين على أكثر تقدير.

وثالثًا؛ معرفة على وجه الدقة، من الذي سيرغب في اختفاء (منال) من على وجه الأرض، ومن الذي سيستفيد فعليًا من موتها.

وقبل أن تواصل بحثها وسط علامات الاستفهام التي تنتظر الإجابة، كانت قد وصلت إلى هدفها الأول؛ مشرحة المدينة، فأوقفت سيارتها وأسرعت إلى الداخل بحماسها المعتاد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لأنها غادرت مكتبها على عجل بعد أن أزعجتها الأخبار في الجريدة، ولم تكن قد تناولت قهوتها، ولذا لم تمانع (نورا) أبدًا في الحصول على كوب قهوة ساخن هنا في مكتب الطبيب الشرعي الذي ابتسم وهو يقدمه لها، وقال:

- أنتم في مكتب البحث الجنائي تسببون لنا الكثير من التوتر.

ثم ضحك، وأكمل:

- حتى أنني دائمًا ما أقول لزملائي؛ أن الحل الوحيد معكم هو أن نستنطق جثث الضحايا لنجعلهم يخبروننا بمن أرداهم، فهذه هي الطريقة الوحيدة للخلاص من طلباتكم الملحة.

ابتسمت (نورا) مجاملة على المزحة السخيفة التي قالها الرجل، ثم ارتشفت رشفتها الأولى من فنجان القهوة، وقالت:

- في هذه المرة، أظن أن دوركم محدود، فالضحية قُتلت طعنًا في العنق، وحدث ذلك غالبًا بين الساعة الواحدة والرابعة فجرًا، وأنا أريد فقط تقريرًا نهائيًّا بالأمر كي نرفقه بأوراق القضية التي ستبدأ النيابة بمناظرتها.

ثم صمتت قليلًا وهي تتذكر عملية (الجثة المجهولة) التي كان مرتكب الجريمة بها هو الطبيب الشرعي المسؤول عن تشريح الجثة، وهمت بأن ترد عليه دعابته بواحدةٍ مماثلة، ولكنها صمتت لتحتفظ بوقارها خاصة عندما وجدته يهم بالحديث قائلًا:

- لا يمكن أن تطلبي تقريرًا نهائيًّا عن تشريح جثة في جريمة قتلٍ بهذه السرعة يا سيدتي، وأنتِ تعرفين هذا الأمر جيدًا، فمهما كانت الأمور واضحة إلا أن أيَ خطأ بسيط ربما يقلب أركان القضية رأسًا على عقب.

ومن داخلها بكل تأكيد، شعرت أن الحق معه فيما يقوله، ولكنها عقبت:

- لقد أصبحت تلك الجريمة تحتل العناوين الرئيسية للصحف اليومية مما سيجعلها الشغل الشاغل لكل سكان المدينة، وخاصة مع مراعاة حساسية وضع الرجل الذي حدثت في بيته الجريمة، فكل هذا سيجعلنا نرغب في التحرك بأقصى سرعة.

ولكنه قاطعها معترضًا:

- وكل هذا سيجعلنا نحن نرغب في التحرك بتأنٍ.

لم تجادله (نورا) ولكنها قالت باستسلامٍ وهي تنهي فنجان قهوتها، وتهم بالمغادرة:

- كنت فقط أرجو أن تقدم لنا يد العون.

فقاطعها مرة ثانية، وقال:

- بالمناسبة؛ هل تعلمين أن الضحية كانت حامل؟

شعرت (نورا) بالصدمة، فقد صدق حدس (سعاد) عندما أخبرتها بذلك في الأمس، ولم تعرف بماذا يتعين عليها أن تجيب الطبيب الشرعي الذي ابتسم بخبثٍ، وأكمل قائلًا:

- لقد أخبرتك من قبل، نحن من نقوم بالجزء الأهم في هذا العمل بأكمله، وعلى وجه العموم سأقدم لكِ التقرير النهائي قريبًا في أسرع وقتٍ كما ترغبين يا سيادة النقيب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- (منال) كانت حامل، يا له من أمرٍ قد يقلب كل الموازين رأسًا على عقب.

هكذا حدثت (نورا) نفسها وهي تقف أمام مبنى المشرحة، واستغربت من كون (سعاد) تعرف عن (منال) أمرًا في غاية الخصوصية كهذا الأمر بينما زوجها (مرزوق) لم يأت بأي ذكرٍ له.

فهل أخفت عنه (منال) الأمر؟

وإن فعلت، فكيف يُعقل أنه لم يلحظ مثل هذا الشيء الذي يبدو أنه كان واضحًا لدرجة أن (سعاد) لاحظته؟

أم ربما كان يعرف، ولكنه لم يخبرها عندما سألته؟

فلماذا؟

وفكرت (نورا) أن عدد الأسئلة التي لا بد من إيجاد إجاباتٍ شافية لها قد أصبح كبيرًا، وهذا يستدعي منها تحركًا سريعًا وإلا ستظل تُهدر وقتها وطاقتها في الركض داخل دوائر مغلقة دون أن تصل إلى الهدف الذي ترجوه، وبهذا ستفشل في أول اختبارٍ حقيقي لها، فهذه الجريمة هي الجريمة الأولى التي ستكون مسؤولة عن حلها من الألف إلى الياء، وهي قائدة التحقيقات بها، وإن كان (أمير) سيعود في الغد، فهو سيكون مساعدًا لها في حل

تلك القضية، ولن يتولى زمام الأمر إلا أن فشلت هي وطلبت منه أن يفعل ذلك، وهذا ما يأباه كبرياء الأنثى داخلها قبل كبرياء ضابطة الشرطة.

وبينما هي غارقة في كل تلك التساؤلات، أخذت تقود سيارتها ببطءٍ إلى حيث مبنى الأدلة الجنائية، إذ قررت أن تذهب بنفسها إلى هناك لتتعرف على مستجدات البحث عن تطابق البصمات والأدلة الحيوية داخل مسرح الجريمة، فوجودها بنفسها سيجعل الخبراء هناك ينجزون الأمر في وقتٍ أقل، ولهذا لم تكتفِ بمكالمةٍ هاتفية، وفضلت أن تذهب بنفسها إلى هناك.

ثم للحظة فكرت بأنه ربما الخطأ الأكبر الذي ترتكبه هو هاجس السرعة، ورغبتها في استعجال الأمور، فهل حقًّا للأمر علاقة بتسرب الخبر إلى الصحافة؟

أم أنها ترغب في الحصول على أية نتائج ملموسة لتضع تصورًا مبدئيًّا للجريمة، يمكنها أن تتحدث عنه أمام (أمير) عندما يعود إلى المدينة في الغد؟

وقبل أن تصارح نفسها بالسبب الحقيقي، رن هاتفها المحمول، فأسرعت لتجيب الرقم الغريب الذي يطلبها:

- مرحبًا؛ أنا المحققة (نورا) كيف يمكنني أن أخدمك؟

وجاءها الصوت الناعم من على الطرف الآخر:

- مرحبًا يا سيادة المحققة؛ هل أتحدث في وقتٍ مناسب؟

فتعرفت (نورا) على الفور على صاحبة الصوت، فابتسمت بخبثٍ وهي تقول:

- صباح الخير يا سيدة (حنان) الوقت مناسب بكل تأكيد.

فأسرعت (حنان) بالقول:

- حسنًا، أنا أرغب في الحديث معكِ بخصوص جريمة القتل البشعة التي حدثت في الفيلا، وأرجو أن يكون حديثنا على انفراد.

فقالت (نورا):

- بالطبع، وهذا ما أرغب به أيضًا.

فجاءها صوت (حنان) حاسمًا:

- أنا الآن في مقهى (كاريبو) الذي يقع في نهاية شارع (القلب المقدس) بجوار مستشفى (الحياة).

فقالت (نورا) قبل أن تنهي المكالمة:

- سأكون عندكِ في غضون عشر دقائق.

وغيرت من اتجاه سيرها على الفور دون تردد، فالحديث مع (حنان) سيقربها خطواتٍ من فهم ما يدور في الخفاء داخل فيلا السيد (أمين).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في المقهى الهادئ، أخذت (نورا) تتلفت في جميع الجهات بحثًا عن (حنان) حتى وجدتها تجلس على طاولةٍ منعزلة بإحدى الزوايا البعيدة، فأسرعت إليها وحيتها وهي تبتسم، ثم قالت لها:

- ها أنا ذا؛ كلي آذان صاغية.

وكانت تلك الجملة هي دعوة علنية للدخول السريع في صُلب الموضوع دون إضاعة دقيقة واحدة، وبالفعل لم تُضع (حنان) أي وقت وأعادت من تعديل وضع شعرها الكستنائي المموج ثم قالت:

- الكثيرون في هذه المدينة يعتبرونني امرأة محظوظة جدًّا، وحتى صديقاتي ينظرن إليَّ نظرات كلها حسد وغيرة، فكوني أحد أفراد أسرة المليونير المعروف (أمين نعمان) هو شيء تتمناه أي فتاة في المدينة، وهذا أمر لا يمكن أن أنفيه.

ثم صمتت قليلًا؛ ذلك الصمت الذي سيعقبه حديث مهم، وبالفعل أكملت:

- أنا أعمل كمهندسة كيميائية في محطة تحلية مياه الشرب الرئيسية الخاصة بالمدينة بينما تعمل شقيقتي الكبرى في شركة السيد (أمين) وعن طريقها في أحد الاحتفالات التي تقيمها الشركة وكنت متواجدة بها، قابلت (مالك) فنصب شباكه حولي على الفور ظنًّا منه أنني كسائر الفتيات التي يلتقيهن في طريقه كل يوم.

وأذكر جيدًا ليلتها أنني نهرته بشدة عندما حاول مواعدتي بوقاحة، ويبدو أن هذا الموقف قد أشعل داخله جنون العناد والتحدي، فلم يمض على هذا التصرف سوى أشهر قليلة حتى تقدم لخطبتي رسميًّا، فوجدت نفسي حينها في موقفٍ لا أُحسد عليه، فمن داخلي كان هناك صراع رهيب بين إعجابي بشخصية (مالك) وبين خوفي الشديد من طريقته في الحياة.

واستمر ترددي لأكثر من شهرٍ كامل، وحتى أبي وأمي لم يشأ أي منهما التدخل في اختياري.

ثم ابتلعت ريقها ونظرت مباشرة في عيني (نورا) وسألتها:

- أتعرفين من الذي أنهى ترددي، وجعلني أحسم الأمر؟

لم تكن تنتظر منها إجابة، فهي من سأل، وهي من أجاب:

- السيد (أمين) بنفسه، ففي أحد الأيام جاء لزيارتي في المختبر الذي أعمل به، وقال لي جملة واحدة فقط:

- أنا سأكون ضمانك الوحيد إن قبلت الزواج من (مالك) ولن أسمح لأي شخصٍ بأن يلحق بكِ الأذى مهما كانت هوية هذا الشخص حتى وإن كان هو ابني الوحيد الذي من صُلبي.

وقبلت.

ثم تنهدت، ويبدو أنها شعرت برغبةٍ في التوقف عن الحديث ولو للحظات، وفهمت (نورا) هذا، فقامت وهي تقول:

- سأذهب لأحضر لنفسي كوبًا من القهوة، فهل ترغبين بالمزيد؟

فنظرت (حنان) إلى كوبها النصف ممتلئ، وهزت رأسها نفيًا.

ومرت الدقائق التي كانت تحتاجها (حنان) كي تتمالك رباطة جأشها، فقد رأت (نورا) أنها فتاة جميلة في غاية الرقة، وبقدر ما تدعي القوة والتماسك إلا أنها في غاية الهشاشة من الداخل، ولهذا لم تشأ أبدًا أن تضغط عليها كي لا يكون رد فعلها عكسيًّا، ولذا انتظرتها حتى بدأت في الحديث من نفسها:

- ومرت أشهر من السعادة، جعلتني أسخر من كل مخاوفي السابقة، فقد تحول (مالك) إلى شخصيةٍ رائعة لا يهتم لأي شيءٍ سوى عمله وأنا، وفي حقيقة الأمر كنت أنا في المقدمة، ولا أنكر أن هذا الشعور منحني الكثير من الثقة والفرح لدرجة أنني كنت على وشك أن أتنازل عن شرطي الوحيد الذي أخبرت به السيد (أمين) حين قبلت الزواج من ابنه.

وهو أن نؤجل موضوع الحصول على طفلٍ لعامين؛ حتى أطمئن من داخلي أن طفلي سيحصل على الأب المناسب، والبيئة الملائمة التي سينشأ بها.

ثم فجأة تغير كل شيء.

وعند هذه النقطة بالتحديد، لمحت (نورا) دمعة صريحة تتلألأ في عيني (حنان) فشعرت بمدى المعاناة التي تعانيها تلك السيدة، ولكنها لم تعرف ما الذي يجب أن تقوله كي تواسيها إلا أن (حنان) لم تكن تنتظر كلمات المواساة من أي أحد، فأكملت:

- شبت النيران في جنتي الصغيرة التي تحولت فجأة إلى جحيمٍ مستعر لا يمكن الحياة به، ولا أعرف تحديدًا ما الذي غير (مالك) وجعل منه شخصًا كريهًا لا يُطاق، فأصبح يهجر البيت كثيرًا، ولا يعود إليه إلا نادرًا، وحتى عندما يعود تفوح منه رائحة الخمر بشدة؛ ناهيك عن الخيانات المتكررة والمهينة، والتي أصبحت علانية ومع نساءٍ لا يلقن أبدًا لمثل هذا، فهو لم يعد يفرق بين مهندسة رقيقة وبين خادمة تعمل في المنزل.

وهنا كانت الصدمة التي ظهرت بوضوحٍ على وجه (نورا) فما قالته (حنان) يعني بوضوح أن (مالك) كان يخونها مع (منال).

وهذا الأمر في حد ذاته يجب التوقف عنده طويلًا، فهو نقطة تحول واضحة في مسار التحقيقات، وأكملت (حنان):

- ولجأت إلى السيد (أمين) فلم أجد عنده إلا الوعود المستميتة بالتدخل في الأمر، والمطالبة بالصبر لبعض الوقت، ولكن في الحقيقة كان الرجل يحب ابنه بطريقةٍ جنونية لا يمكن تصورها، وأنا ألتمس له العذر بكل تأكيد، فهو ابنه الوحيد ووريث عرش شركته الضخمة، وكان لا بد من وقفةٍ حاسمة.

فطلبت الطلاق.

وظهرت في عيني (حنان) نظرات الثقة والقوة، وأكملت بنبراتٍ حادة:

- كان هذا هو خياري الوحيد، وحدث هذا منذ ثلاثة أسابيع تقريبًا، ولا أنكر أن كلمة الطلاق قد زلزلت كيان (مالك) فتوسل إليَّ، وطلب مني أن أمنحه بعض الوقت كي يلملم شتات نفسه، ولكنني من الداخل كنت أعرف أنه لن يتغير، فهذه هي حقيقته، وما دون ذلك كانت محاولات فاشلة لاحتوائي، ولكنني قبلت بمنحه الوقت الذي طلبه.

ثم طأطأت رأسها، وأكملت بعد أن غابت عن نبراتها الحدة التي كانت تتحدث بها:

- فإن لم أفعل سيتحول الأمر إلى عنادٍ وتحدٍّ وحرب، سأخرج منها خاسرة بكل تأكيد، فمالي والسيد (أمين نعمان) وجيش المحامين الذين يعملون معه!

وبعد ربع ساعة أخرى من الحديث عن أمورٍ عامة؛ فضلت (نورا) أن تكتفي بهذا القدر من المعلومات التي قالتها (حنان) خاصة بعد أن عرفت منها تفاصيل لحظة اكتشافها للجثة وأنها ما كان يجب أن تدخل الغرفة، فبمجرد أن فتحت الشرفة وظهرت الجثة المطعونة على ضوء الشمس، كادت أن تفقد كامل الوعي، فرؤية الدماء تصيبها بالإغماء، ولم تشأ (نورا) أن تضغط عليها أكثر، وتدخل معها في تفاصيل دقيقة قد تؤلمها، وفضلت أن تؤجل هذا الأمر إلى لقاءٍ آخر، وبالفعل قالت لها:

- أنا أشكرك جدًّا على كل ما أخبرتني به، وبالطبع هناك تفاصيل كثيرة سأرغب في معرفتها، ولكن في وقتٍ آخر وسيكون هذا في القريب العاجل.

وسر ذلك (حنان) التي كانت قد بدأت تشعر بالاختناق من حديثها المؤلم عن زوجها المجنون، ونزواته القذرة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

. تبًّا للرجال؛ لا يملأ عيونهم إلا التراب، فكيف يُعقل أن يخون رجل سيدة جميلة ناعمة، رقيقة كالفراشة؟

هكذا تمتمت (نورا) بعد أن تركت المقهى الذي جمعها ب. (حنان) وكانت في غاية الذهول مما سمعته منها، وزادها كل هذا حنقًا على (مالك) الرجل الماجن، وعلى والده المتساهل معه.

والمزاج السيئ الذي شعرت به بعد حديثها مع (حنان) جعلها تغير كل خططها المسبقة، فبدلًا من الذهاب إلى مبنى الأدلة الجنائية، توجهت إلى مكتبها، فمن هناك ستبدأ في وضع خطة لتعمل من خلالها على حل تلك القضية التي أصبحت تثير اشمئزازها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أمضت (نورا) بعض الوقت في متابعة الأعمال الروتينية، والتقارير اليومية التي تخص مكتب

البحث الجنائي، وهذا الجزء بالذات من العمل كانت تختلف كثيرًا مع (أمير) في تقييمه، فهي ترى أنه لا يقل أهمية عن العمل الميداني بينما دائمًا ما يقول عنه (أمير):

- إنه كقشر الموز، لا فائدة منه أبدًا.

فهو يمقت كل ما يجعله يجلس خلف مكتب ليمسك بقلم ويضع بعض الإمضاءات على التقارير والأوامر التنفيذية، فهو يرى نفسه في الهواء الطلق، يركض بقوة خلف كل من يعكر صفو السلم في حياة الناس.

مضت ساعة كاملة، أنهت فيها (نورا) كل ما ينتظرها من أعمالٍ ورقية، وخلال تلك الساعة لم تتمكن أبدًا من إزالة صورة (حنان) من رأسها وهي تحكي لها بحرقة عن المعاناة التي عاشتها في فيلا السيد (أمين) وولده، وبينما الجميع يحسدونها على الثراء الذي تحيا به، إذا هي في غاية التعاسة، ولا ترغب بشيءٍ في الحياة سوى الفرار من هذا القفص الذهبي.

ثم فكرت أيضًا في (منال) وكيف أنها ورطت نفسها في الكثير من الأفعال المتهورة، والتي ربما فقدت حياتها بسببها.

ثم أخذت تعيد تقييم الموقف من جديد وهي تكتب أسئلة على هيئة (خربشات) في ورقةٍ بيضاء أمامها:

- هل كان (مالك) يخون زوجته مع الخادمة؟

- هل حقًّا فعل هذا أم أن (حنان) تكذب لأمرٍ ما في ذهنها؟

- هل كان (مرزوق) على علمٍ بسلوك زوجته؟

- وكيف يقبل السيد (أمين) بالسكوت على تلك الأحداث الفاضحة التي تحدث في بيته؟

- ولماذا لم يخبرها (مرزوق) بأن زوجته كانت تحمل في أحشائها طفلًا؟

ثم ألقت القلم على المكتب وتراجعت بكرسيها بعد أن كتبت السؤال الأخير:

- ومن هو والد ذلك الطفل؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الآن ستذهب للحديث مع (مالك) ومع والده في شركة الأوراق المالية التي يمتلكها، وبعد ذلك ستتأكد من حجة غياب (مرزوق) في مدينة (العرين).

وهل حقًّا قضى ليلة وقوع الحادث هناك؟

ثم ستنتظر حتى تنتهي عملية مطابقة البصمات المرفوعة من مسرح الجريمة وعلى أساس النتائج التي ستحصل عليها، ستحدد ماذا ستفعل بعد ذلك.

هكذا رتبت (نورا) خطواتها التالية للعمل على تلك القضية الشائكة، ولكن قبل أن تهم بمغادرة مكتبها، رن الهاتف الأرضي بجوارها، فأجابته لتجد أحد العاملين معها يخبرها أن رجلًا يدعى (سعد) يطلب الحديث معها شخصيًّا بعد أن عرف أنها الضابط المسؤول عن عملية مقتل (منال) فطلبت منه أن يحول الاتصال إلى هاتفها، وبالفعل بعد لحظاتٍ سمعت صوتًا أجشًّا

يقول:

- مساء الخير يا سيدتي، وعذرًا على الإزعاج، ولكن الأمر في غاية الأهمية.

تأهبت (نورا) وشحذت جميع حواسها وهي تستمع إلى الرجل يقول لها:

- أنا اسمي (سعد وديع) وأمتلك المؤسسة العامة للتجارة الحرة، وهناك ما أريد أن أطلعك عليه بخصوص ما قرأته في صحف هذا الصباح.

ثم صمت للحظاتٍ قبل أن يكمل:

- أقصد الجريمة التي حدثت في منزل السيد (أمين).

فقالت له (نورا) تحثه على الحديث:

- حسنًا، أنا أستمع إليك، فتفضل هات ما عندك.

فظهرت على نبرات الرجل ما يوحي بتردده وهو يقول:

- كنت أفكر أنه من الأفضل أن نلتقي وجهًا لوجه، فالأمر يستحق يا سيدتي، صدقيني.

وقبل أن تجيبه (نورا) أكمل معطيًا لها ما سيجعلها تقبل دون تردد:

- لقد قامت (منال) بزيارتي في مكتبي منذ شهر تقريبًا، وحدث خلال تلك الزيارة ما يجعلني أظن أنه سبب مقتلها المباشر.

فلم يكن هناك بد من أن تقول له:

- أقل من نصف ساعة وسأكون متواجدة في مكتبك يا سيد (سعد).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

عبرت (نورا) تحت لافتة كبيرة مكتوب عليها (المؤسسة العامة للتجارة الحرة) وصعدت مسرعة على الدرج الرخامي ورائحة الياسمين تحيط بها من كل جهة حتى وصلت إلى مكتب السيد (سعد) فحيت السكرتيرة التي ترتدي فستانًا قصيرًا، وعرفتها بنفسها، فابتسمت لها وقادتها على الفور إلى بابٍ زجاجي، وقالت لها:

- السيد (سعد) ينتظر قدومكِ، وأبلغني بذلك.

وما أن دخلت (نورا) الغرفة حتى لمست على الفور مدى الفخامة التي يعج بها المكان، وكان ترحيب السيد (سعد) بها مبالغًا فيه، لقد كان رجلًا فارع الطول ذا شعر كث قد غزاه الشيب، ويرتدي بذلة رمادية تبدو باهظة الثمن، ويضع على عينيه نظارة طبية، وخمنت هي أنه ربما في منتصف الستينات من العمر، وما أن جلست واضعة ساقًا على ساق حتى بادرته قائلة بصرامة:

- والآن حان وقت البوح بالأسرار يا سيد (سعد).

وكانت تقصد بتلك الصرامة التي تحدثت بها، أن تجعله يدخل مباشرة في الموضوع الذي أخبرها عنه، أنه خطير جدًّا، وبالفعل بدأ الرجل كلامه بعد أن سعل بطريقةٍ مفتعلة:

- عالم الأموال يا سيدتي في منتهى الخطورة، فأبسط خطأ من الممكن أن يؤدي إلى كارثة، يفقد

خلالها الكثيرون ثرواتهم وربما حياتهم، ولهذا يجب أن نتعامل في مجالنا بمنتهى الحرص والسرية، وننتقي من يعملون معنا ومن يحيطون بنا بدقةٍ شديدة، ومنذ سنواتٍ طويلة وأنا والسيد (أمين) في حالة حربٍ باردة، فرضتها علينا ظروف العمل والمنافسة الشديدة، وبصراحة...

ثم اعتدل في جلسته والتزم الصمت لبعض الوقت قبل أن يكمل:

- وبصراحة كانت له الأسبقية في الكثير من الجولات الحاسمة فيما بيننا، ولكن ذلك ليس عن جدارة منه أو براعة في العمل، ولكن لأنه يحترف التعامل بالطرق الملتوية، والأساليب الغير سوية، وقد ألحق بي هذا الرجل الكثير من الخسائر على مدار السنوات الطويلة، وكنت أقف عاجزًا وأنا أكاد أن أفقد عقلي، ولكنني لم ألجأ أبدًا لمثل الطرق التي يتبعها هذا الثعلب المخادع.

شعرت (نورا) بالملل من الإسهاب الذي يتحدث به (سعد) وبدا ذلك على ملامحها مما جعله يبتسم ثم يقول:

- تلك المقدمة كي أوضح لكِ طبيعة العلاقة بيني وبين (أمين) فهذا سيجعلك تتفهمين رد فعلي عندما وجدت سيدة تطرق باب مكتبي منذ بضعة أسابيع، وتقول لي بمنتهى الثبات:

- كم ستدفع لي إن قدمت لك رأس السيد (أمين) على طبقٍ من ذهب؟

وصمت (سعد) قليلًا بعد أن شعر بأنه أخيرًا قد حاز على انتباه (نورا) الكامل، ثم أمسك بكوب ماءٍ كان موضوعًا بجواره على المكتب، وتجرع نصفه قبل أن يكمل قائلًا:

- كانت تلك هي (منال) وقد عرضت أن تعطيني بعض الأوراق الخاصة جدًّا بشركة (أمين) وفي مقابل هذا طلبت الحصول على مبلغٍ ضخم من المال، وفي الحقيقة لم أتردد أبدًا في الموافقة على تلك الصفقة، وشعرت أن القدر أخيرًا قرر أن يمنحني فرصة لا يمكن تفويتها كي أرد الصاع صاعين لهذا العجوز المخادع، وبالفعل اتفقنا على كل شيءٍ، وطلبت (منال) أن تأخذ النقود مقدمًا وأخبرتني أنها ستعود بعد يومين ومعها تلك الأوراق، وبالرغم من أنني وضعت احتمالًا كبيرًا أن تلك المرأة ربما تكون كاذبة وتسرق أموالي ولكنني قبلت في النهاية، فقد كان الأمر يستحق، وبالفعل نفذت الجزء الذي يخصني في الاتفاق، وبعد مرور يومين لم تأت (منال) في موعدها، فجن جنوني وأقسمت إن لم أسترد أموالي فسأقلب حياتها رأسًا على عقب وأحولها إلى جحيم.

ولمحت (نورا) في عيني الرجل وهو يقول تلك الجملة نظرة بها كل شر العالم، فشعرت بقشعريرة داخل قلبها، وبدلت من وضع ساقيها وتابعته وهو يقول:

- ولكن في اليوم التالي، وقبل أن أقدم على أي تصرفٍ انتقامي، وجدتها تدخل مكتبي ومعها ما وعدت أن تحضره من أوراق، وقد أصابني ذلك بالدهشة، فكيف لها أن تحصل على معلوماتٍ بكل هذا القدر من السرية؟

وعندما سألتها هذا السؤال؛ نظرت لي شزرًا، وقالت:

- أنا البعوضة التي تقف على عنق الأسد.

وغادرت مكتبي على الفور، وبالطبع سجلت كاميرات المراقبة هنا هذا اللقاء، ومع الأيام نسيت

أمر تلك السيدة وأنا أستمتع برؤية (أمين) يدفع الثمن حتى قرأت خبر مقتلها في الجريدة هذا الصباح.

واختتم (سعد) كلامه بابتسامةٍ صفراء، أظهرت مدى الكره الذي يحمله في أعماقه ل (أمين) وبدا وكأنه تمساح قد انتهى للتو من التهام فريسته.

تعجبت (نورا) من تلك المعلومات التي سمعتها، وقررت على الفور أن تغلق باب الحوار، وتبدأ في طرح الأسئلة:

- ماذا كانت تحتوي تلك الأوراق بالضبط يا سيد (سعد)؟

فأجابها محاولًا تبسيط الأمور:

- سوق الأوراق المالية أو البورصة هي سوق، ولكنها تختلف عن غيرها من الأسواق، فهي لا تعرض ولا تملك في معظم الأحوال البضائع والسلع، فالبضاعة أو السلعة التي يتم تداولها ليست أصولًا حقيقية بل أوراقًا مالية أو أصولًا في شركاتٍ عالمية، وغالبًا ما تكون هذه البضائع أسهمًا وسندات، والبورصة سوق لها قواعد قانونية وفنية تحكم أدائها، وتحكم كيفية اختيار ورقةٍ مالية معينة وتوقيت التصرف فيها، وأي خطأ بسيط في البيع أو الشراء بناءً على بياناتٍ خاطئة أو غير دقيقة قد يكون نتيجته خسائر ضخمة، وبالنظر إلى جو المنافسة المشتعل في البورصات العالمية، يقود ذلك إلى عمليات مضاربة شديدة، انهارت فيها مؤسسات مالية ضخمة وشركات عملاقة كما حدث في يوم الاثنين الأسود في بورصة نيويورك أو يوم الاثنين الأسود الآخر الشهير في الكويت عام 1983 عندما بلغت خسائر سوق المناخ للأوراق المالية قرابة 22مليار دولار أو كارثة شهر فبراير في سوق الأسهم السعودية حيث فقد المؤشر 50% من قيمته كما فقد معظم المتداولين السعوديين 75% من رؤوس أموالهم، وأيضًا كارثة يوم الثلاثاء الأسود في مارس .2006

وقد اعتبر الاقتصادي البريطاني (جون مينارد كينز) في كتابه النظرية العامة في التشغيل والفائدة والنقود؛ أن البورصة أشبه بمباراة جمال، أي أن الربح فيها يقتضي ألا تشتري أسهم الشركة الأكثر ربحًا بل أسهم الشركة التي يظن الجميع أنها تحقق ربحًا أكثر، وكانت تلك الأوراق هي ما يشبه خارطة للتحركات المالية لشركة (أمين) خلال الستة أشهر القادمة، وحصولي عليها يعني أنني أصبحت أسبقه بخطوة فأحصل على المكسب بأكمله، وليس هذا فحسب بل مكنتني أيضًا تلك الأسبقية من حفر الفخاخ المالية له ليتعثر فيها.

ثم تحدث بنبراتٍ ملؤها الشماتة، وأكمل:

- وكل عثرة تعني مبالغ طائلة تقدر بالملايين، وبهذا يمكنكِ القول أنني رددت له كل الصفعات التي صفعها لي خلال السنوات الماضية عبر صفعة واحدة قوية، جعلته يترنح فاقدًا اتزانه وقدرته على فهم ما يجري حوله.

تأكدت (نورا) أن الرجل من هواة الثرثرة الطويلة، فمجرد أن يستلم طرف موضوع معين، يستمر في الكلام دون توقف، ولذا فضلت أن تكون أكثر تحديدًا في أسئلتها له، وقالت:

- أنت تخبرني بكل هذا دون أن تخشى ملاحقتك قضائيًا؟

فضحك، وهو يجيبها:

- لا يوجد ما يجرمه القانون في كل ما أخبرتكِ به، فقد وصلت المعلومات إلى مكتبي دون أن أسعى إليها، ودون أن أعرف مصدرها، فحتى صباح اليوم لم أكن أعرف أبدًا أن (منال) تعمل كخادمة عند (أمين) ثم ما ترتب على تلك المعلومات هو مضاربات وصفقات، وتحالفات رسمية خالية من أي تجاوز، فبالرغم من كل شيءٍ، أنا أحمل داخل أعماقي ضميرًا حيًّا، يختلف عن ذلك الذي مات منذ سنوات داخل روح هذا الثعلب الماكر.

وبالطبع كان يقصد (أمين) بوصف الثعلب، فسألته (نورا):

- وهل عرف الثعلب من الذي أوقع به، وسلم عنقه لأكثر منافسيه شراسة؟

فأجابها (سعد) وهو يبتسم:

- لا يمكنني الإجابة فعليًّا على هذا السؤال، ف. (منال) أحضرت لي صورة ورقية من تلك المستندات، ولم تحضر أصولها بالطبع، ويبدو أنه ظل لفترة لا يعرف بتسرب تلك المعلومات من تحت سيطرته، وظن أن الأمر مجرد ضربات حظ تصب في مصلحتي، ولكن لا بد أنه فطن لما حدث بعد فترة، فالحظ لا يتحالف بكل هذا القدر مع شخصٍ واحد فقط.

فعادت لتسأله:

- وهل التقيت ب. (منال) بعد هذه المرة؟

هز (سعد) رأسه على الفور نافيًا، ثم قال:

- لم يحدث، وإن كنت قد توقعت أن تأتي لزيارتي مرة أخرى، فبريق المال لا يمكن مقاومته، ولكن للأسف لم يمهلها القدر.

ثم أكمل بمنتهى الخبث:

- أو ربما لم يمهلها السيد (أمين).

فأسرعت (نورا) لتقول له:

- هل توجه اتهامًا رسميًّا إلى السيد (أمين) بقتلها؟

فتمهل (سعد) قليلًا في الرد قبل أن يضغط على مخارج الحروف من فمه، وهو يقول:

- أيتها المحققة؛ أنتِ في غاية الذكاء لتعرفي أنني لا أفعل ذلك، ولن أفعل ذلك، ف. (أمين) لن يحتاج إلى اتهامٍ مباشر مني، فأنتم في مكتب التحقيقات الجنائية ستتكفلون بالأمر، وبالمناسبة أنا لا أكترث أبدًا لأمره بعد الآن، فالقصة أصبحت مسألة وقت قبل أن أزيله تمامًا وإلى الأبد من عالم الأوراق المالية، ولن أحتاج إلى تدبير جريمةٍ له.

فاختتمت (نورا) حوارها مع الرجل بأن طلبت منه الحصول على نسخةٍ من تسجيل لقائه مع (منال) عندما جاءت لتسلمه الأوراق التي يدعيها، فابتسم وهو يقول لها:

- بالطبع يا سيدتي.

موقع الكتب العراقية

وغادرت (نورا).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- هذه تشبه مجموعة من خيوط الصوف التي تشابكت، وتعقدت مع بعضها البعض لتشكل في النهاية كرة متداخلة لا يمكن فصلها بسهولة.

كانت تلك الكلمات هي ما علقت بها (نورا) على المعلومات التي حصلت عليها عند زيارتها لـ (سعد) وبينما هي تنطلق بسيارتها من هناك إلى حيث شركة (أمين) كانت تشعر بحماسٍ شديد يسري في عروقها، فهي منذ البداية لم تشعر براحةٍ تجاهه ولا تجاه ابنه، وبقدر ذلك الحماس وربما أكثر، شعرت أيضًا بقدرٍ من الحيرة جعلها تبدو كقاربٍ صغير تتلاعب به أمواج المحيط العاتية، فمن الطبيعي أن تتغير معطيات أي جريمة مع التعمق في تفاصيلها وأحداثها، ولكن تلك القضية بالذات تتغير معطياتها بين ساعةٍ وأخرى مما يجعل كل من له علاقة بـ (منال) قد يرغب في قتلها.

وظلت تفكر في كل تلك الأحداث المعقدة، وتساءلت بصمت:

- كيف يمكن لفتاةٍ كـ (منال) أن تورط نفسها في كل تلك المشاكل بحيث يرغب الجميع في رؤيتها ميتة؟

ولم تجد الإجابة أبدًا على هذا السؤال حتى وصلت إلى غايتها، وأسرعت إلى حيث ستلتقي بـ (مالك) ووالده.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نعم، قررت أن تلتقي بالابن أولًا، ربما لأنها تظن أنه سيكون فريسة سهلة، وبذلك ستتمكن من الإيقاع به بسهولة، ودون مجهودٍ يُذكر.

- صباح الخير أيتها المحققة.

هكذا رحب بها (مالك) ثم دعاها إلى الجلوس في مكتبه بعد أن تركها تنتظر في الخارج لأكثر من نصف ساعة بحجة أن لدية اجتماعًا مهمًّا بينما تيقنت هي من أنه كان يرتب لهذا اللقاء مع والده بعد أن صدمه خبر وجودها في الخارج، وطلبها الحديث معه للأهمية.

ما أن جلست (نورا) حتى بادرته قائلة بطريقةٍ مباشرة، وبنبراتٍ حادة:

- سيد (مالك) هل من الممكن أن تخبرني بطبيعة علاقتك بـ (منال) وبالطبع أنا أطلب منك الحقيقة كاملة، فنحن حاليًا في منتصف تحقيقٍ رسمي بخصوص جريمة قتلٍ مع سبق الإصرار والترصد، والكذب في مثل هذا الموقف أو حتى مجرد إخفاء أمرٍ ما مهما كان بسيطًا، يعتبر جريمة يعاقب عليها القانون.

قصدت (نورا) من هذا السؤال المباشر، ومن تلك المقدمة المتعمدة أن تتخذ أقصر الطرق في حديثها مع (مالك) دون أن تمنحه أي فرصة للمراوغة، وبالفعل ظهرت على ملامح الرجل بعض الدهشة إلا أنه تمالك نفسه، وأجاب بثقةٍ شديدة وهو يبتسم:

- يبدو أنكِ قد التقيتِ بزوجتي الحبيبة، وأخبرتكِ الكثير من السخافات، والأوهام التي تتخيلها.

ثم قام من خلف مكتبه وتوجه إلى كرسي بجوار (نورا) وجلس عليه، ثم أكمل:

- (منال) كانت مجرد خادمة في بيتي، ولقد تعاملت معها من هذا المنطلق طوال الوقت، فهل تظنين يا سيدتي أنني إذا أردت التعرف على فتاةٍ كي أحصل منها على المتعة، فهل ستكون تلك الفتاة هي خادمتي؟

ثم أكمل بتهكم:

- ألا تعرفين من أنا؟

وما هي حجم الثروة التي أمتلكها؟

وما الذي يمكنني فعله بتلك الثروة؟

لم تعلق (نورا) على كل ما قاله، وعادت لتسأله نفس السؤال ولكن بطريقةٍ أخرى:

- حسنًا، هذا يعني أن التقرير الذي يعمل رجال الأدلة الجنائية حاليًا على إنهائه، والذي سأجده على مكتبي في مساء اليوم على أكثر تقدير سيكون خاليًا من ذكر أنهم تمكنوا من الحصول ولو على نصف خلية من جسدك في المحيط الخاص بالمجني عليها؟

وهنا صدمها رد فعله، فهل هذا هو الرجل الهادئ الذي قابلته في اليوم الأول لوقوع الجريمة، والذي كان حينها يتحدث بترددٍ وخوف؟

فقد صرخ (مالك) بانفعالٍ مبالغ فيه قائلًا:

- هل أنتِ هنا لتقومي بتهديدي؛ أم ماذا؟

ألم تتعلمي الفرق بين الحديث مع أحد المجرمين لديكِ، وبين الحديث مع شخصٍ بريء؟

فتلك المرأة كانت تعمل خادمة في بيتي.

وكانت تقيم هي، وزوجها في بيتي.

وكانت تخالطني، وأخالطها في حدود ما يقتضي الأمر أيضًا في بيتي.

ولا يوجد قانون يمنعني من التجول بحريةٍ في بيتي.

فأرجوكِ يا سيادة المحققة، أن تكوني أكثر منطقية في حديثكِ معي، ولا تنسي أن هذه الشركة التي نجلس فيها الآن يعمل بها عدد من المحامين كافٍ للترافع عن كل الجرائم التي تحدث في المدينة، وهذا يعني أنني أعرف حقوقي جيدًا.

وكان أمام (نورا) خياران لا ثالث لهما، فإما أن ترد على (مالك) بنفس الطريقة التي تحدث بها من منطلق أنها صاحبة المركز الأقوى، وأن تراجعها أمام صراخه سيكسبه فرصة أكبر للمراوغة، والخيار الثاني هو أن تمتص تلك الموجة من الغضب بحكمةٍ شديدة، وخاصة أنها هي من تسببت بها من البداية بهجومها المباشر عليه، وحينها بالتأكيد سيهدأ، وستتمكن من إكمال الحوار، والوصول إلى ما تريد منه.

ولكنها اختارت خيارًا ثالثًا بعد أن تريثت لنصف دقيقة، تبادلت فيها النظرات الحادة مع (مالك) فقد قامت من مكانها بحدة وبطريقةٍ عصبية، ولكنها تحدثت بمنتهى الهدوء قائلة:

- حسنًا يا سيد (مالك) غدًا في الثانية ظهرًا سيتعين عليك الحضور إلى مكتبي في مبنى البحث الجنائي، ويمكنك حينها أن تحضر معك كل من يمكنك إحضاره من المحامين الذين يعملون عندك، وإلى الغد أعدك أن أتعلم من الآن وحتى الوقت المحدد، كيف أفرق في الحديث مع الأبرياء والمجرمين، ولكن أرجو منك أنت أيضًا أن تتعلم الفرق بين الحديث مع رجال الشرطة، والموظفين لديك في الشركة لأن هذا الأمر لو تكرر مرة أخرى ستكون العواقب وخيمة جدًّا، لن تتمكن من تحملها.

ثم تركته وانصرفت دون سلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وفي نفس المبنى، صعدت (نورا) طابقًا أعلى من الطابق الذي يوجد به مكتب (مالك) إلى حيث يقع مكتب والده السيد (أمين) وهناك قابلتها سكرتيرة بابتسامةٍ صفراء، وأخبرتها أن الرجل غير متواجد بالمكان، وأنه لم يأت اليوم إلى الشركة، فقد غادر إلى لقاءٍ مهم مع وزير التجارة في العاصمة، وطلبت منها أن تعود باكرًا إن أرادت.

فلم تعقب (نورا) بأي كلمة، ولم تتهمها بالكذب، فالرائحة المميزة للسيجار الذي يدخنه (أمين) تملأ زوايا المكان، وتفوح بكثافة مما يعني أنه لا بد كان هنا خلال ساعة على الأكثر.

وأيضًا تركتها، وانصرفت دون سلام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- الرجل وابنه يتلاعبان بي.

هذا هو الانطباع الذي خرجت به من شركة (أمين).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وأمضت (نورا) ما تبقى من يومها في مبنى البحث الجنائي، تتنقل من مكتبٍ إلى مكتب لتتابع أي تفاصيل جديدة تخص سير القضية، ولكنها شعرت أن العمل يسير ببطءٍ شديد جدًّا مما أفقدها أعصابها وهي تتحدث مع أحد خبراء البصمات حيث قالت له بعصبية:

- هل سنمضي بقية العام في انتظار مطابقة البصمات المرفوعة من غرفة الضحية؟

ولكن الرجل أجابها بأدبٍ جم أخجلها:

- سيدتي، لم يمضِ سوى يوم واحد فقط على حدوث الجريمة، والعجلة التي تريدين سير الأمور بها لن تصب أبدًا في مصلحة العمل.

فاعتذرت إليه كثيرًا، وأبدت ندمها على الطريقة التي تحدثت بها، وأرجعت ذلك إلى ضغوط العمل المتراكمة، فابتسم لها الشرطي، وغادر بعد أن وعدها بالعمل بأسرع ما يمكن على تلك القضية بالذات.

وحتى بخصوص المعلومات القادمة من مدينة (العرين) فقد كانت كلها شفهية، وتفيد بأن (مرزوق) قد قام بالفعل في المساء بتسليم الأوراق التي طُلب منه تسليمها لفرع الشركة في المدينة، ثم قضى الليلة عند أحد أقاربه، وفي الصباح الباكر ذهب إلى فرع البنك الوطني المتحد وقام بصرف شيك لصالح السيد (أمين) واستلم مبلغًا ماليًّا في مقابله، وبهذا تعتبر حجة غيابه

مقبولة جدًّا من حيث المبدأ.

وتبقى لها أخيرًا أن تشاهد شريط الفيديو الخاص بزيارة (منال) لمكتب السيد (سعد) والذي كان مصورًا بكاميرا المراقبة الخاصة والتي تقوم بتسجيل الصورة دون الصوت، وظهرت بالفعل (منال) وهي تسلم (سعدًا) ظرفًا أصفرًا، ففتحه وأخذ يتفقد الأوراق التي بداخله ثم أجرى مكالمة هاتفية، وبعد قرابة العشر دقائق سلمها مبلغًا ماليًّا بدا ضخمًا، أخذته وهي تبتسم، ووضعته في حقيبتها دون أن تقوم بعده، ثم رحلت مسرعة.

وأخيرًا حان وقت ذهابها إلى البيت، وقبل أن تهم بالنهوض من على كرسيها، تثاءبت بكسل، ثم أخرجت كل ما بداخل صدرها من هواءٍ دافعة إياه إلى الخارج بقوة، وتمتمت قائلة:

- يبدو أنني قد اعتدت بشدة على وجودك في هذا المكان يا برتقالي الشعر.

ويبدو أن (أمير) استمع إلى ما قالته، فقد رن هاتفها مع آخر حرف تفوهت به، وكان هو المتصل، ووجدت في نبراته شيئًا عجيبًا وهو يقول لها:

- كيف حالك يا (نورا)؟

مجرد تلك الجملة العادية جدًّا، شعرت منها أن هناك شيئًا ما قد تغير في (حارس جهنم) خلال اليومين اللذين غاب فيهما عن (مدينة الظلام) كما أطلق عليها هو بنفسه هذا الاسم، وكان هذا الشيء الغريب الذي شعرت به مع نبرات صوته لا يمكن وصفه ولا تسميته، فقد بدا لها أن (أمير) قد استعاد شيئًا مفقودًا ظل يبحث عنه لفترةٍ طويلة، فأسرعت وأجابته بعد أن كرر عليها نفس السؤال مضيفًا إليه سؤالًا آخر:

- هل تسمعينني يا (نورا)؟

- نعم؛ نعم أسمعك يا سيادة العقيد، وأنا بخير.

فأخبرني كيف حالك أنت؟

وكيف حال والدك؟

واستمرت المكالمة بينهما لعدة دقائق، وكالمرة السابقة لم يسألها عن أي شيءٍ يخص العمل أبدًا، وأنهى كلامه معها قائلًا:

- سنلتقي غدًا في الثامنة صباحًا؛ إن شاء الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثاني)

(إن شاء الله)

د. شريف صبري

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـاة

الفهرس:

أمير الوكيل.. (حارس جهنم)

-1-

-2-

-3-